



للمؤلف الفاضل

مستلم بن عفتل

وقائع السفارة

للمرحوم الشيخ

معركة القصر

تأليف

الشيخ علي الشيرازي

المطبعة الكائن



المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

✍ السید علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد علي

العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة - المجموعة الكاملة ج ٤

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مشهد : إعتقاد ما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية

٣٥٨ هـ . الطبعة الأولى . ١٤٣٦ق=١٣٩٤ش=٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلد الرابع .

طُبعت المجموعة كأجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ ق .

ISBN : ٩٧٨-٦٠٠-٧٧١٢-٢٩-٠ ISBN : ٩٧٨-٦٠٠-٧٧١٢-٣٥-١ دورة : ٩٧٨-٦٠٠-٧٧١٢-٣٥-١

ج ١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير - قصة التطير . ج ٢ . وقائع دخول الكوفة .

ج ٣ . قصة معقل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد . ج ٤ . معركة القصر .

ج ٥ . بين المسجد الأعظم ودار طوعة - الحرب الأخيرة . ج ٦ . وقائع الشهادة .

ج ٧ . ناصرة سفير الحسين عليه السلام - الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة) .

ج ٨ . أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

الفهرسة طبق نظام فيبا . المصادر بالهامش .

١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ق ٢ . واقعة كربلاء ٦١ هـ ق

٣ . الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث ، ٤ - ٦١ هـ ق - الأصحاب

الإيداع في المكتبة الوطنية :

٣٨٨١٧٤٧ • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • Bp ٤٢/٤/م ٥٤ ح ١٣٩٤

الطبعة : الأولى ، ذوالحجة ١٤٣٦ هـ ق

المطبعة : ذاكر

الكمية : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :

قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢

مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩

تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩

البريد الإلكتروني للمؤلف : saliaashraf@hotmail.com



مكتبة الإمام الحسين عليه السلام
للنشر والتوزيع

ketabashura@hotmail.com

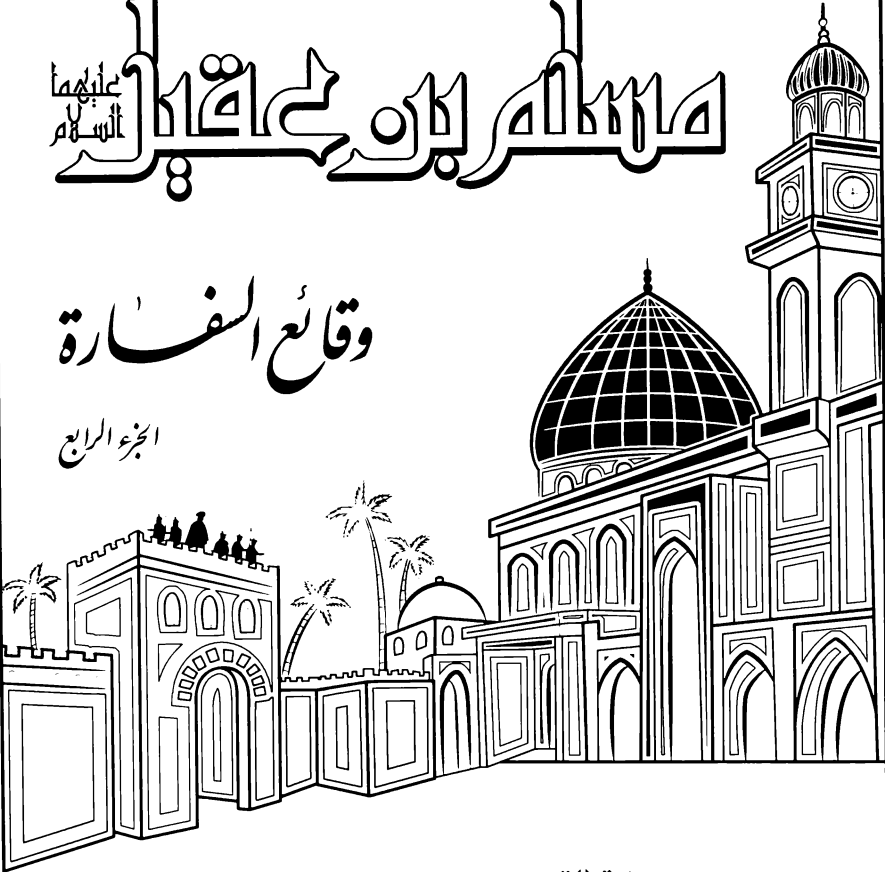


مسلمین کے حق پر

عَلَيْهِمَا
الْأَسَلَام

وقائع السفارة

الجزء الرابع



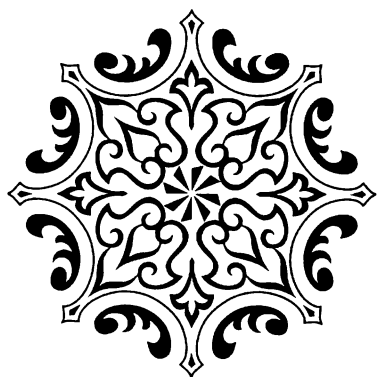
• معركة القصر

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

• الفهرس الإجمالي •

• معركة القصر •

١١	دواعي النداء بالشعار
٤١	يوم الحصار
٤٩	جيش العسكرين
٥٧	عسكر ابن زياد
٩٥	عدد عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام
١١١	المجاميع التي لبّت النداء
١٢١	تعبئة العسكر
١٢٥	ميدان القتال
١٣٥	وقت التجمّع والقتال
١٣٧	تحذيل الناس عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام
٢١٣	المعركة!!
٢٥١	نهاية الحصار
٢٩٥	موادّ البحث



معركة القصر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين
محمد وآله الطيّبين الطاهرين، والصلاة والسلام على سيّد الشهداء
وزين السموات والأرضين خامس أصحاب الكساء حبيب الله وحبيب
رسوله وحبيب القلوب الإمام الحسين عليه السلام وعلى أصحابه الذين كشف
لهم «الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم على
القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، وإلى مكانه من الجنّة» ^(١)، ووعدهم
ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة على أعدائهم فقال: ﴿تُمرّدّونا لكم الكرّة
عليهم﴾ يخاطب بذلك أصحاب الحسين عليه السلام ^(٢).

(١) علل الشرائع: ١ / ٢٢٩ باب ١٦٣ ح ١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٩٧ باب ٣٥ ح ١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٧٢.

وصلَّ يا ربَّ صلاةَ خاصّة نامية زاكية طيّبة دائمة على مولاي الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، صلَّى الله عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأُمير المؤمنين والحسن والحسين عليه السلام، صلَّى الله على روحك وبدنك.

أشهد أنّك لم تهن، ولم تنكل، وأنّك قد مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً للنبيّين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المختبتين، فإنّه أرحم الراحمين.

اللهمّ ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا واحشرنا معه، وعرّف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وتوفّقنا على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه - والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم .. (١).

أما بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «قصّة شراء والدته»،

(١) انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم

و«قصة التطير»، و«قصة معقل»، و«قصة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضي الله عنه»، و«كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً».

وها نحن نحاول دراسة «معركة القصر» واستكشاف أحداث ذلك اليوم، وربما نوفق ببركة المولى الغريب لإتمام المسير معه إن شاء الله في الساعات الباقية في الكوفة.

* * * * *

لقد سجّل لنا التاريخ يوماً من أيام المولى ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، نادى فيه البطل الهاشمي بشعاره: «يا منصور»، وانطلق بمن أجابه إلى قصر الطاغية القزم فحاصره! ثم جرت أحداث سنأتي على ذكرها إن شاء الله تعالى ...

وسنحاول - ما استطعنا - استكشاف أحداث ذلك اليوم ودراستها باختصار.

دواعي النداء بالشعار

ينبغي أولاً أن نتعرّف إلى الأسباب والدوافع التي أدّت إلى رفع هذا الشعار وانطلاق حفيد أبي طالب ﷺ نحو القصر..

ومعرفة الأسباب والدوافع لها دور أساس في فتح الآفاق لتحليل المواقف ودراسة الخطوات المتخذة، وتقدير النتائج، وتحديد ما إذا كان النداء بالشعار قد حقّق أغراضه، أو أخفق في تحقيق أيّ غرض. فربما كانت واحدة أو أكثر من الأسباب والدواعي الآتية تكمن وراء رفع الشعار المعروف: «يا منصور أمت»:

الداعي الأوّل: اعتقال هاني وغيره

اتّفقت المصادر التي روت أحداث القصر على توقيت الانطلاق نحو القصر، وأنّه كان بعد اعتقال ناصر سفير الحسين ﷺ هاني بن عروة،

والذي يفاد من عبارات المؤرخين أنّ تلك الحركة إنما كانت بعد موقف مذحج ووصول خبر تعرّض حياة شيخ الكوفة هاني بن عروة للخطر في القصر.

فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف ما جرى على هاني من تعذيب واعتداء وحبس ثمّ قال:

«.. وأتى مسلماً خبرهائي فأمر أن ينادى في أصحابه ...» (١).

ومن الواضح أنّ المراد من وصول خبرهائي إلى المولى الغريب مسلم عليه السلام هو قصد قتله والاعتداء عليه بالضرب، وإلاّ فأصل الاعتقال وذهاب هاني إلى القصر كان بحضور المولى الغريب مسلم عليه السلام لأنّه كان في بيت هاني حسب الفرض.

وقد صرّح الطبري (٢) بذلك، وأبو الفرج في مقاتل الطالبين (٣)، والشيخ المفيد في الإرشاد (٤) في روايته عن أبي مخنف قال:

«حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال:

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٣) مقاتل الطالبين: ١٠٣.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ - ٥١.

أنا - والله - رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هاني، قال:

فلما ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرته! يا ثكله! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه ...

وقال المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب:

«... ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهاني، أمر منادياً فنادى: «يا منصور» وكانت شعارهم» (١) ..

وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧) في المنتظم:

«... قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه» (٢) ...

وقال آخرون أنّ خبر مقتل هاني وصل إلى المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام فنادى بالشعار.

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٨ / ٥٨.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

وقد صرح بذلك الدينوري في الأخبار الطوال (ت ٢٨٢):

«قال: ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هاني بن عروه نادى فيمن

كان بايعه، فاجتمعوا» (١) ...

وروى الطبري أيضاً:

«عن الحصين: ... وأمر فكتف - أي هاني - ثم ضرب عنقه،

فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير» (٢) ...

الداعي الثاني: موقف مذحج

أفادت جملة من العبارات الواردة في الأخبار أن تخاذل مذحج وانصرافها عن نصرة زعيمها هاني وعدم الثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار والانطلاق نحو القصر، وكأن هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون بدور عشيرة هاني المتخاذلة.

ومن الواضح أن مذحج لم تخرج إلى القصر وتحيط به بقصد استئصال نظام الحكم القائم وقطع ذنب القرد الأموي، وإنما خرجت تطالب بهاني وتريد المنع من قتله ليس إلا، ويدل على ذلك رجوعهم بمجرد أنهم أخبروا - ولو كذباً - بأنه سالم لم يقتل (٣) ...

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠ - ٢٣٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٧٣.

(٣) ربما يقال: إن هذه الطائفة من روايات المؤرخين تفيد السبب الأول خاصة أو

فقد روى الطبري في تاريخه خبر عمّار الدهني في حديث طويل قال: «... فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنّما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا، فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره» (١) ..

وقال ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨) في المناقب (٢): «... وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنّه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل» .. وقال السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) في اللهوف (٣):

السبب الأوّل والثاني معاً، ولا ضرر في ذلك فإننا نريد بيان سبب نداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره، فلتؤيّد هذه النصوص أيّ سبب من الأسباب التي ذكرناها، ولكّنها على كلّ تقدير تتفق على نحو «الإجماع المركّب» على نفي «قصد الثورة» بالمعنى الاصطلاحيّ الذي يستهدف إسقاط النظام الحاكم والاستيلاء على السلطة بغرض إدارة دفة الحكم وما يستتبع ذلك ويستلزم منه .. وللتفصيل راجع: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير».

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٧.

(٣) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٤٧.

«... فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه» ...

وقال مسكويه (ت ٤٢١) في تجارب الأمم:

«فخرج إليهم شريح، فأعلمهم أنه رآه وهو حيّ سالم، وإنما عاتبه كما يعاتب الأمير رعيتّه، فانصرفوا. وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره» (١) ...

وقال ابن الأثير في الكامل:

«فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا، وأتى الخبر مسلم بن عقيل فناده في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم» (٢) ...

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

«... فتفرّقوا - أي مذحج - إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٨.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠.

الخبر فركب و نادى بشعاره: يا منصور أمت» (١) ..

هذه النصوص التاريخية تكاد تكون صريحة بترتب النداء على خذلان مذحج سيّما إذا التفتنا إلى التفرّيع بالفاء وصدور الأمر بالنداء بعد وصول خبر مذحج مباشرة.

الداعي الثالث: الدفاع عن النفس

يمكن بيان حركة الدفاع عن النفس من خلال شاهدين:

الشاهد الأوّل: المولى الغريب مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى للجرو

الأمويّ ابن زياد

لم يكن حفيد أبي طالب عليه السلام - الذي لو ولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً (٢) -، وصهر وابن أخي أمير المؤمنين عليه السلام أشجع العالمين، وأخو سيّد شباب أهل الجنّة الحسين والحسين عليه السلام والبطل الهاشمي مسلم ابن عقيل عليه السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّر قرار العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها وبالدعيّ ابن الدعيّ والجرو الأمويّ عبّيد القرود ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمة محوّلة له من قبل القرد

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

(٢) انظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٠ / ٧٨، كشف الغمّة للأربلي: ٢ /

الأمويّ المجدور يزيد تنصّ على طلب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

«فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة وكانا عيني يزيد بن معاوية إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعيا للحسين بن علي، وأتته قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام.

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم ابن عقيل طلب الحرزة حتّى يظفر به، فيقتله، أو ينفيه.. ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره بإغذاذ السير. فسار مسلم حتّى وافى البصرة، وأوصل الكتاب إلى عبيد الله ابن زياد» (١).

وروى ابن حجر في الإصابة قال:

«فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، فدعا يزيد مولى له يقال له:

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

"سرجون" فاستشاره، فقال له: ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأتته أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفر به قتله» (١).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

«ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه» (٢) ...

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً وردءاً وحصناً منيعاً وركناً ركيناً للدفاع عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وخذلته عشيرته التي كان يحسب عليها هاني ويحسب لها ابن زياد.. فمقتضى الحال أن يستعدّ البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام للدفاع عن نفسه وعن البقية الباقية معه من الموعودين بالفتح، ليتسنى لهم اللحاق بركب الشهادة.

الشاهد الثاني: الهجوم على المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

إضافة إلى ما مرّ آنفاً من مقتضيات الأحداث، وأنه الطلبة الأولى

(١) الإصابة: ٢ / ٧٠.

(٢) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣.

للقرد الأمويّ وذنبه، فإنّ ثمة مؤشرات تاريخيّة واضحة وصريحة تؤكّد أنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد أرسل في طلب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لقتله أو أسره، فوثب البطل الهاشميّ للذّب عن حريمه والدفاع عن نفسه.

قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في الإمامة والسياسة:

«... فضرب بها وجهه (أي وجه هاني) حتّى كسرّها، ثمّ قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل» (١)...

وقال اليعقوبي (ت ٢٩٢) في تاريخه:

«ووجّه - أي ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً وخرج وأصحابه» (٢)..

رواية شاذّة

لا يلتفت إلى ما رواه المقدسي (ت ٥٠٧) في البدء والتاريخ حيث قال:

«... فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ

(١) الإمامة والسياسة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

البيعة من أهلها، فجاء حتى نزل على هاني بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد - عليه اللعنة - وهو بالبصرة فهم إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقتلوه حتى دخل قصره وأغلق بابه.

فلما كان عند المساء وتفرق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هاني، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر وقتل أدنى من العضادة ثم ضربوا عنقه» (١) ..

فهذه رواية شاذة غريبة ومختصرة مريبة، يغني مجرد قراءتها عن مناقشتها وكشف العوار فيها (٢).

غير أنها تنفع هنا للإشارة إلى أن ابن زياد - لعنه الله - هو الذي أرسل خيلاً ليلقي القبض على المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وإن كنا لا نصدق أنهم استطاعوا بهذه السهولة التي يصورها المقدسي أن يقبضوا على العظميين مسلم وهاني، كما أنه يخالف اتفاق المؤرخين

(١) البدء والتاريخ: ٦ / ٨.

(٢) ناقشناها باختصار في بحث «وقائع دخول الكوفة».

على القول بسبق اعتقال هاني على المولى الغريب مسلم عليه السلام.

الداعي الرابع: اقتحام القصر لاستنقاذ هاني

جاء في كتاب مع الركب الحسيني في معرض الجواب عن سؤال: «لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟».

«٤ - لا يشك المتأمل العارف بأخلاقيّة أهل البيت عليه السلام السامية وأخلاقيّة من تربّى في أحضانهم وكنفهم، والمُدرِك للضرورات السياسيّة والاجتماعيّة، أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان يحرص كلّ الحرص على سلامة هاني بن عروة عليه السلام وعلى انقاذه وإطلاق سراحه محفوظ العزّة والجاه والكرامة، وبرغم أنف ابن زياد ومن شايعه من وجهاء وأشراف الكوفة.

وذلك: لإيمان هاني عليه السلام ومظلوميّته وأهمّيّته، فنصرته واستنقاذه وإعرازه أمراً واجب مع القدرة على ذلك، وتتجلى أهميّة هاني عليه السلام فضلاً عن كونه قيادياً بارزاً جداً في التكتل الثوريّ في كونه القطب الذي يمكن أن تجتمع عند كلمته قبيلة مذحج قاطبة، ففي إطلاق سراحه عزيزاً منتصراً على يد قوّات الثورة برغم ابن زياد تعزيز وتقوية لموقعه الرفيع في أهل الكوفة عامّة، وفي قبيلة مذحج خاصّة التي قد تستشعر فضل الثورة عليها بإطلاق سراح زعيمها معزّزاً مُكرّماً، الأمر الذي قد يدفع جميع

مذبح بعد ذلك إلى إطاعة هاني عليه السلام في مناصرة الثورة والانضمام إليها إلى آخر الأمر.

ولا يخفى ما في جميع ذلك من إذلالٍ للسلطة الأمويّة وكسر لشوكتها وإضعافها، هذا على فرض أنّ المواجهة بين الثوّار والسلطة كانت ستنتهي عند إطلاق سراح هاني عليه السلام. من هنا، يمكن للمتأمل المتتبع أن يحزم بأنّ الثوّار كانوا قد عزموا على اقتحام القصر، ووضعوا لذلك الخطة التي تضمن سلامة هاني عليه السلام أيضاً» (١).

* * * * *

أجاد في ترتيب المقدمات، وهي مقدّمات منطقية وصائبة في الغالب، ولكن النتيجة المستحصلة من تلك المقدمات غريبة عنها، وذلك للمعوقات التالية:

العائق الأول: استنتاج القطعي من الظنيّ

قالوا: إنّ النتيجة تابعة لأخس المقدمات، وهي تابعة للمقدمات ومستخلصة منها، فإذا كانت المقدمات قطعية جاءت النتيجة قطعية، أمّا إذا كانت المقدمات ظنيّة أو أقلّ من الظنّ في رتبة استحصال العلم،

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٢.

فلا يصلح أن تنتج المقدمات نتائج جزمية قطعية بتيّة..
 وكلّ ما مرّ من مقدمات فإنّها لا تتجاوز الظنّ والتحليل والاحتمال
 مهما كانت قويّة، فلا تنهض باستحصال نتيجة قطعية جزمية منها، ولا
 يمكن أن تولّد الجزم، إذ أنّها جميعاً مقدمات ظنيّة تحليلية احتمالية..

العائق الثاني: عدم انحصار النتيجة بخيار

لو فرضنا صحّة جميع المقدمات المذكورة، فإنّ النتيجة قد تكون أعمّ
 من خيار واحد محصور في النتيجة المستحصلة آنفاً، فلا شك أنّ البطل
 الهاشمي مسلماً انطلق بمن معه إلى فناء القصر بعد وصول خبر تعرّض
 هاني للضرب والجرح والاعتداء وربما القتل - حسب النصّ التاريخي -
 فيكون إنقاذ هاني من أهمّ الدوافع التي دعت إلى النداء بالشعار...
 ولكن هل يكفي هذا في جزمنا بأنّ التحرك كان يستهدف القصر
 نفسه؟ ويمتنع تصوير إفراز آخر يمكن أن يكون نتيجة لتلك المقدّمة؟
 أجل، أقصى ما يمكن استنتاجه من ذلك أنّ التحرك كان يستهدف
 تحرير هاني من مخالف ابن الأمة الفاجرة ولو بالحصار الطويل للقصر
 مثلاً، أو بإدخال الرعب على ابن زياد الجبان وأتباعه، فيدفع إليهم
 هاني معزّزاً مكرمًا، وهكذا يمكن افتراض فرضيات أخرى تحقّق الهدف
 دون اقتحام القصر.. فليس اقتحام القصر هو الطريق الوحيد لإنقاذ
 هاني لتكون النتيجة محصورة في ذلك كما جزم سماحته - حفظه الله -..

فهل يقال: إِنَّ مذحجاً التي أحاطت بالقصر كانت قد عزمت على اقتحام القصر؟! ونحن لم نسمع بتاتاً أيّ تصريح من أحد الشخصيات المشاركة سواء من مذحج أو من غيرها أنهم كانوا يقصدون شخص الجرو الأمويّ المسعور ابن زياد أو ينوون الانتقام لاعتقال هاني أو يخطّطون لاقتحام القصر لاستنقاذ طلبتهم فيه!

صحيح أنّ مذحجاً رجعت فور سماعها كلام شريح غير أنّها خرجت أساساً للمطالبة بهاني، وكانت ترى في إحاطتها بالقصر كفاية لتهديد ابن زياد وإدخال الرعب في قلبه واضطراره للاستسلام وتسليم هاني معزّزاً مكزّماً، وهذا ما تفيد به مجريات الأحداث وتنصّ عليه كتب التاريخ حينما تتحدّث عن خروج مذحج متوجّهة نحو القصر لغرض الكشف عن مصير هاني ليس إلّا، فلمّا علموا خبره عن طريق الكذاب الأشر انصرفوا وقفلوا راجعين، ويمكننا أن نفترض في أقصى الفروض أنهم خرجوا لاستنقاذ هاني.. أمّا افتراض هدف أبعد من ذلك فيحتاج إلى مؤونة أضخم، وشواهد أقوى، ولا نحسب أنها متوقّرة في المتون التاريخية الصريحة ولا الإشارات..

بيد أنّ فعلتهم هذه وخروجه نحو القصر كانت لها أثرها البالغ في تخويف عبيد القروذ ابن زياد، فاضطرّته إلى ركوب الكذب وتسخير الوجه الذي كان قاضياً في الكوفة وله وجاهته الدينيّة والقضائيّة مهما

كانت هذه الوجاهة مزيّفة إلاّ أنّها كانت مرضيّة عند أولئك الغوغاء..

العائق الثالث: خضوع مذحج

إذا تمّ اقتحام القصر تنفيذاً للعزم، فهذا يعني قطع ذنب القرد الأمويّ والقضاء على حكم الطاغية المتهوّر ابن زياد، وسيطرة «المواري»! رسمياً على الكوفة واستيلاء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على مقاليد الحكم، وحينئذٍ تخضع مذحج اللاهثة في طلب الدعة ومجاراة السلطان سواء كان هاني موجوداً أو شهيداً، ولاننسى أنّها قد خذلت شيخها واتّخذت لها شيخاً جديداً «لا يخلع طاعة ولا يفارق جماعة»...

العائق الرابع: قلّة المدافعين عن القصر

يعرض لنا المؤرّخ صورة بهلوانيّة لعبيد القروذ ابن زياد ومن كان معه في القصر، جعلتهم على قلّتهم يدافعوا عن القصر ويحرقوا الآلاف المتجمّعة المحاصرة لهم في وقت لا يتعدّى السويّعات في أقصى التقادير، وهذا ما سنناقشه ضمن بحوث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فعددهم - على المشهور في المصادر - عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط:

«وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلاّ

عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط ... ثم صاروا مقدار مائتي رجل من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط».

«وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع مَنْ حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل» (١) ...

وهذا المقدار الضئيل عدداً - الجبان طبعاً أو حباً في الدنيا، الخائف نتيجة الظروف، المرتبك لكثرة العدد المتوّعد - أحقر بكثير من أن يستمر في المقاومة لساعات.

هذا من حيث العدد حسب المصادر.

العائق الخامس: معرفة المولى الغريب مسلم ﷺ بالقصر

تبين أنهم من حيث العدد والرجال - حسب ما يبدو من تصوير المؤرخ - قلة حقيرة ضئيلة لا تقوى على الصمود أمام الزحف الهادر المحيط بالقصر.

أما من حيث استحكام القصر و«إثته كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحد الآن، رغم مرور ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً على

(١) أنساب الأشراف: ٢ / ٣٣٨.

تشييده، ويكفي أن نتصوّر كون جدار القصر من القوّة والسعة بحيث تتمكّن الشاحنات من السير فوقه» (١) ..

فلا شكّ في استحكامه وقوّة بنيانه، وهذا ما يكشف عنه الواقع بالفعل إلى اليوم، وقد قضينا ساعات طويلة من أيام عمرنا نطوف في خبايا قصر الخبال، ورأينا ذلك بأعيننا ولمسناه بأيدينا، غير أنّ في هذا الكلام مجال واسع للمناقشة:

المناقشة الأولى: لزوم التالي الفاسد

إنّ هذا الكلام يفيد بوضوح أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قد أقدم على فعل لم يعرف عواقبه، ولم يعرف الموقع الذي يريد الهجوم عليه، ولم يحدّد ثغراته ولا طرق التمكنّ منه، وهيئات أن يصدر ذلك من إنسان عاديّ، فكيف بقائد عسكريّ خبير كان على ميمنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، كما ذكر ابن شهر آشوب في المناقب وابن أعثم في الفتوح (٢).

المناقشة الثانية: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر

كان المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة أيام الإمام أمير

(١) مع الركب الحسيني، عن مبعوث الحسين عليه السلام: ١٨٠.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٣ / ٢٤، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ١٦٨.

المؤمنين عليه السلام، وكان قصر الخبال بين يديه، وربما كان يمرّ عليه كلّما قصد المسجد ذاهباً وجائياً، وأنا أتذكر أننا كنّا نطوف في خرائبه وأطلاله ونحن شباب صغار حتّى تعلّمنا مساربّه ومدخله ومخارجه رغم سعته وتعقيد خريطته، فكيف بالعالم الخبير مسلم بن عقيل عليه السلام الذي كان يعلم - ولا نشكّ في ذلك - أنّ له يوماً مع هذا القصر في مستقبل الأيام.

بل حتّى لو لم يكن يعلم بذلك، فإنّه قضى - زهاء خمس سنوات في الكوفة مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام متردداً على القصر كيف لا يعرفه ولا يعرف ثغراته أو نقاط الضعف والقوّة في بنائه؟

المنافشة الثالثة: معرفة من كان معه عليه السلام

لو فرضنا - وهو فرض لا يكون - أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان لا يعرف القصر وتفصيله وثغراته التي تساعد على اقتحامه، فإنّ في الكوفة من الرجال من تردّد على هذا القصر وقضى فيه عمراً من الزمن.

وفيه من الخبراء العسكريين والقادة والرؤوس من ذوي السابقة في الحروب، والكوفة يومها ثكنة عسكريّة وقد خاضت حروباً غير قليلة ولا سهلة خلال الفترة القريبة من أيام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام فضلاً عن الحروب السابقة على ذلك التاريخ.

المناقشة الرابعة: وجود طرق التسلل للقصر

لقد أغلقت أبواب القصر - حسب الأخبار -، غير أنّ بعض الأبواب كانت شائعة تستقبل الداخلين لنصرة الجرو الأمويّ، حيث كان ما يسمّونهم الأشراف يدخلون عليه من قبل باب الروميين، وكانت قيادات قواته تدخل وتخرج عليه، فهو لم يكن موصداً مكنوناً كما يصوّرونه.

الداعي الخامس: محاصرة القصر حتّى تحقيق النصر

قد يقال: إنّ المولى الغريب عليه السلام نادى بشعاره ليحاصر القصر بحيث تدوم هذه «المحاصرة المستمرة التي قد تطول أياماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو يسلموا هاني على أقلّ تقدير».

وذلك لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر بمن فيه لا يتمّ خلال ساعة من المحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن.. فلا بدّ إذن - والحالة هذه - من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أياماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو

يسلموا هاني على أقلّ تقدير» (١).

إنّ هذا الفرض جميل لو أعانت عليه الدلائل وساعدت عليه الشواهد، وعلى فرض معالجة ما يمكن أن يناقش به في المناقشات التالية:

المناقشة الأولى: الفرض مبني على تخطئة المولى الغريب

مسلم بن عقيل عليه السلام

إنّ هذا الفرض مبني على تخطئة انطلاق المولى العالم الخبير مسلم ابن عقيل عليه السلام والخلل الفضيع الواقع في توقيت النداء بالشعار، وقد جاء الفرض ليعالج هذا الخطأ ويبرّر علّة الموقف.

ويبدو ما ذكرناه واضحاً في التعليل الذي سبق استنتاج هذا الفرض، وتفرّيع القول بالمحاصرة الطويلة بقول: «فلا بد»، أي أنّ المقدمات المذكورة كحلل تقتضي أن يكون العمل عقيماً، والنداء غير مُجْدٍ، لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر بمن فيه لا يتمّ خلال ساعة من الحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة،

إنّهُ كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن...»، فلماذا إذن نادى المولى الغريب عليه السلام بشعاره، والمفروض أنّ هذه الموانع لم تغب عنه، لأنّها لأمّحة واضحة عرفها أهل هذا الزمان، فكيف تخفى على من كان شاهد عيان؟
فمن أجل تبرير الموقف نضطرّ إلى فرض المحاصرة طويلة الأمد!
فلذا قال: «فلا بدّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أيّاماً...».

المناقشة الثانية: إنّهُ محض افتراض

لم يرد هذا الفرض في نصّ تاريخي، ولم نجد له أيّ مؤشّر يدلّ عليه من كلمات المؤرّخين والرواة، وكلمات مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام أو المنضوين تحت رايته، أو الأعداء المحاصرين في القصر، فهو محض افتراض لا تدعمه الوثائق.

بل التأمّل العميق في مجريات الأحداث لا يفيد أنّ هذه الخطة كانت من نوايا المولى الغريب عليه السلام، وحركة الأحداث تشير إلى خلاف ذلك تماماً.

المناقشة الثالثة: توافر المؤن

إنّ سعة القصر ووضخامته وإحكامه وترامي أطرافه وكثرة ما فيه من

البنيان والعدد وآبار المياه والمؤن، وقلة الأفراد المحصورين فيه تقتضي. أن يحاصر شهوراً طويلة لا أياماً، لاحتوائه كل ما يحتاجه العدد القليل المتواجد فيه، ولا زالت آبار المياه موجودة فيه إلى اليوم، ولا زالت بعض المؤن تستخرج منه أيضاً، وقد حضرت مرة ورأيت بعيني كمية كبيرة من العتاد كالسيوف والدروع والملابس وغيرها تستخرج من موضع واحد من القصر الكبير.

المناقشة الرابعة: لم تكن المحاصرة مطبقة

لم يكن القصر محاصراً محاصرة تامة، وقد نص التاريخ على بقاء الباب من جهة الروميين طريقاً سالكاً للداخلين والخارجين منه، وكثرة أبواب القصر وترامي أطرافه، والأنفاق الموجودة فيه - إلى اليوم - تجعل القصر ممتنعاً على الحصار امتناعاً صعباً عسيراً.

المناقشة الخامسة: تجاهل قوات العدو

يقوم هذا الفرض على أن العدو انجحر وانحصر في ما تدور عليه أسوار القصر، وأن ليس له ناصر ولا معين ولا مدد ولا عدة ولا عدد خارج القصر، وكأن البلد كله قد انقض على القصر، والحال أن الشواهد التاريخية - بل الدلائل - تشير إلى خلاف ذلك، كما سيوضح، وبهذا يمكن أن يتعرض الجمع المحاصر إلى حملات من خارج القصر وتحصل

المعارك التي تساعد على فضّ الحزام المتقطع أصلاً، وتبديد الزبد المتراكم على الأسوار.

* * * * *

هذا كلّه بلا ريب ولا تردّد كان بعين المولى الغريب والخبير العسكري المتمرس مسلم بن عقيل عليه السلام وفي علمه.

الداعي السادس: اقتحام القصر لإسقاط الحكم

قد يقال: إنّ الداعي الأساس الذي دفع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام للنداء بشعاره هو الاستيلاء على قصر الخبال باعتباره مركزاً يمثّل سلطان بني أميّة، والمبنى الرسمي للحكومة المحليّة، وكان الهجوم على هذا الموقع من صلب مهمّة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فأقدم عليه كخطوة تمهيدية للقضاء على الحكم الأمويّ كلّه واستئصال الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار لتسقط جميع القروء المتعلقة بأغصانها.

فقد ورد في إحدى المحاولات لاستكشاف المهمّة التي أرسل بها المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وذكر الأدلّة التاريخيّة على ذلك:

«إنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم تنحصر في استطلاع الرأي العامّ الكوفيّ ومعرفة حقيقة ومصادقة

التوجهات فيها، بل كانت مهمته الأساسية فيها هي الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحليّة الأمويّة فيها، والتمهيد للقضاء على الحكم الأمويّ كلّ..» (١).

وهذا الداعي لا يصمد أمام النقد، وقد ناقشناه مناقشة مستفيضة في رسالة مستقلّة بعنوان «مسلم بن عقيل عليه السلام نائراً سفيراً»، ودرسنا المهمة من خلال نصوص الدعوة، ونقصد بها النصوص الواردة عن سيّد الشهداء عليه السلام حين دعا المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة سفيراً، والكتب التي كتبها سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، والكتب التي أرسلها المولى الغريب مسلم إلى سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، والفهم السائد في عصره، وملاحظة الأصول الاعتقاديّة، ونصوص العلماء والمؤرخين والمشهور بينهم.

ثمّ نقلنا هناك أدلّة القائلين بهذا الداعي وناقشناها مناقشة مفصّلة، فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

الداعي السابع: كشف النوايا وفضح المبايعين

وهذا الداعي (١) من أهمّ الدواعي وأقواها، وربما كان هو الغرض الأساس من رفع الشعار، وذلك للأمّرين:

الأمر الأوّل: كشف النوايا

إنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان موظّفاً من قبل الإمام عليه السلام أن يستكشف نوايا المبايعين والمراسلين، ويستكشف الوضع في الكوفة، وقد اعتمده الإمام عليه السلام في ذلك وقبل منه رأيه ونظره، فإبداء البيعة وحده والمكاتبة والمراسلة لا تكفي، وإلا لما أرسل سيّد الشهداء عليه السلام سفيره مسلماً عليه السلام إليهم.

وقد صرّحت النصوص التي ذكرت دعوة الإمام الحسين لأخيه مسلم عليه السلام وتكليفه بالمهمّة، والكتب التي كتبها سيّد الشهداء عليه السلام لأهل الكوفة بذلك (٢).

(١) ربما اعتبر هذا الداعي غائباً فبعد الداعي هدفاً وغاية حقّقها المولى الخبير بتحركه ذاك، فكانت حركته موفّقة قد حقّقت الأغراض المتوخّاة منها وإن بقي وحيداً أو أنّه استشهد أو أنّه لم يستنقذ هاني ولم يقتحم القصر، لأنّ الغرض الأساس كان أحد هذين الأمرين.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أمّ سفير»، تجد فيه دراسة وافية للنصوص.

والذي يكشف حقيقة النوايا هو الالتزام بتلك البيعة في ساعة العسرة، وعند النداء وطلب النصرة، فاستعراض القوم بالنداء وإن كان بسبب الدواعي السابقة إلا أنَّ الغرض الأساس منه إنما هو كشف النوايا.

فربما لم يقدم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على مثل هذا الإقدام أيام تمكَّن الذيل الأمويّ النعمان بن بشير من قصر الخبال باعتبار أنَّ مؤشرات الظروف كانت مواتية، ومؤثرات البيعة والمراسلة مستمرة على نسق واحد، فكتب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بما شاهده لإمامه عليه السلام، فلما ولى نعمان ودخل الجرو الأمويّ المسعود ابن زياد، وتغيّرت الظروف وتفعّلت المؤثرات الجديدة صارت المجموعة المتبقية مع المولى الغريب عليه السلام بحاجة إلى غربال وامتحان يكشف لهم أنفسهم، وللآخرين حقيقة أمرهم، ويجعلهم على المحكّ الذي يميّز الخبيث من الطيّب، فيكون أميناً في الكتابة إلى الإمام عليه السلام باجتماع ملئهم وذوي الحجى منهم على ما قدمت به رسلهم أو تفرّقهم عن ذلك، وقد فعل عليه السلام.

الأمر الثاني: كشف العامل الغيبيّ

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج إلى أرض المصرع واليوم الموعود يوم عاشوراء، وقد توجّه في حقيقة الأمر واقع الحال إلى كربلاء، ولم

يتوجّه إلى الكوفة بحال، وقد دلت على ذلك الأخبار الربّانيّة، والأحاديث النبويّة، والإخبارات الغيبيّة الأُميريّة، وما ورد من إخبارات سماويّة على لسان الإمامين الحسن والحسين عليه السلام.

ولكي تتكشف الأمور وتقام الحجّة ويقع المقدور ضمن الظروف الطبيعيّة والمناخات السياسيّة والاجتماعيّة أضحي من الضروري أن يقدّم الإمام الحسين عليه السلام الحجّة على القوم الظالمين، فلا يقال له: لو كنت وصلت الكوفة ودخلتها لكان أمر الناس غير ما كان، فإنّه أرسل إليهم مبعوثه، وأمرهم أن يلتقوا حوله، وأن يبائعوا للإمام عليه السلام على يديه، فلمّا تعرّض للخطر أعرض المسوخ عنه وخذّله، وباعوا بيعتهم ودينهم لسليل الزنا ابن زياد، وعقدوا زمام أمورهم وديناهم بالقدر المتدبّي من ذنب القرد الأمويّ.

ولولا نداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره لما انكشفت هذه النوايا، ولما عرف بهرج القوم وزيفهم.

ورغم انكشاف حقيقة القوم وبلوغ خبرهم إلى سيّد الشهداء عليه السلام بالطرق المتعارفة يومها، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يرجع عن قصده ولم يمتنع من عزمه ومضى إلى كربلاء أرض المصرع الموعود، ليعلم أهل الأرض أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام لم يكن يقصد الحكم والسلطان، وإنّما هو ماض إلى ما أمره به الربّ المتّان. ونكتفي هنا بهذا القدر من

البيان لأن تفصيله خارج عن محور البحث وله موضع آخر.

* * * * *

ربما يقال: إن هذا الداعي لم تصرّح به النصوص ولم تذكره المتون التاريخية ولم يرد في تصريحات المولى الغريب ولا أنصار وأعوانه، ولم يشر إليه سيّد الشهداء عليه السلام!

فيقال: أجل! الأمر كذلك، بيد أنه فرض بين الفروض واحتمال تنهض به روح الحركة ونتائج الأحداث ومؤدّيات النصوص المقدّسة وغيرها، وتساعد عليه مجمل الاستحصالات من كلمات الإمام سيّد الشهداء عليه السلام وحركته وقيامه ...

يوم الحصار ^(١)

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد يوم الانطلاق إلى القصر على أقوال:

القول الأول: الثامن من ذي الحجة

ذهب مشهور المؤرخين إلى هذا القول، وقد دلّت عليه عمدة المصادر، وذهب إليه أكثر المؤرخين والمحققين:

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

«وكان مخرج مسلم بالكوفة، يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من

(١) لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإنما نقصد تجمع الناس في رحبة المسجد والقصر.

ذي الحجة سنة ستين ...

.. وكان الحسين خرج من المدينة إلى مكة يوم الأحد، لليلتين
بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث
ليال خلون من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان
وشوّال وذي القعدة، ثمّ خرج منها يوم الثلاثاء لثمان ليال
خلون من ذي الحجة يوم التروية وهو اليوم الذي خرج فيه
مسلم بالكوفة» (١) ...

وقال الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد:

«وكان خروج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان
مضين من ذي الحجة سنة ستين، وقتله يوم الأربعاء لتسع
خلون منه يوم عرفة، وكان توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى
العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة وهو يوم التروية» (٢).

وقال الشيخ ابن نما رحمته الله في مثير الأحزان:

«... وكان خروج مسلم في الكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين
من ذي الحجة يوم التروية، وهذا اليوم كان فيه خروج

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.

(٢) الإرشاد: ٢ / ٦٧.

الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق بعد مقامه بها بقيّة شعبان
وشهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة» (١).

القول الثاني: التاسع من ذي الحجّة

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

«ويقال: يوم الأربعاء لتسع خلون من ذي الحجّة سنة ستّين
يوم عرفة بعد خروج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة
بيوم» ...

وقال بعد سطور:

«وقد يقال: إنّهُ خرج بالكوفة يوم الأربعاء وهو يوم عرفة» (٢) ..

القول الثالث: الثاني من ذي الحجّة

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

«وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من
ذي الحجّة سنة ستّين، وهي السنة التي مات فيها
معاوية» (٣).

(١) مثير الأحران: ٢٣ - ١٦.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٤٢.

ثم قال بعد أن ساق الأحداث:

«فلما أصبح - أي ابن زياد - جلس للناس، فدخلوا عليه،
ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعدته معه على
سريره» ...

إلى أن قال:

«فقال: انطلق، فأتني به الساعة».

* * * * *

فإذا كانت شهادته الثلاثاء الثالث من ذي الحجة يلزم أن يكون
الحصار في اليوم الثاني منه، لأنه بات ليلته تلك عند طوعة حسب
المصدر.

القول الرابع: السابع من ذي الحجة

روى الطبري في تاريخه عن أبي مخنف قال:

«حدثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال
مضين من ذي الحجة سنة ستين..

ويقال: يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد

مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم» (١) ...

* * * * *

يبدو واضحاً أنّ «السبع» تصحيف «لتسع»، ويشهد لذلك أنّه قال:
«لسبع مضيّن سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من
مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم»..

ويشهد له أيضاً أنّ يوم الثامن من ذي الحجة صادف الثلاثاء عند
البلاذري والطبري والمفيد وابن نما، وقال البلاذري: إنّ الأربعاء صادف
التاسع، فيما يفيد الطبري هنا أنّ الأربعاء صادف السابع من ذي
الحجة.

قال:

«وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين
بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث
مضيّن من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوّالاً وذا
القعدة، ثمّ خرج منها لثمان مضيّن من ذي الحجة يوم الثلاثاء
يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل».

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ:

«وكان قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجة بعد رحيل

الحسين من مكة بيوم، وقيل: يوم رحيله» (١) ...

وهذا القول يعني أنّ سيّد شاب أهل الجنة عليه السلام قد خرج من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم السابع من ذي الحجة، وكذا كان خروج المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، وهو خلاف المشهور المتفق، وخلاف قول سبط ابن الجوزي نفسه، إذ يقول:

«كان مخرج الحسين من المدينة الى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوّال وذو القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم ابن عقيل بالكوفة» (٢) ..

النتيجة

قال الشيخ الطبسي - حفظه الله - في كتاب مع الركب الحسيني بعد أن نقل الأقوال:

(١) تذكرة الخواص: ٢١٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٢١.

«... إِنَّ المشهور - وهو الصحيح - أَنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان

قد خرج من مكة إلى العراق يوم الثلاثاء، يوم الثامن من ذي

الحجة سنة ستين» ...

وبعد أن ناقش الأقوال قال:

«... فلا يبقى من هذه الأقوال بعد هذا إلا ما لا يُعارض

المشهور الصحيح، وهو أَنَّ خروج الإمام عليه السلام من مكة إلى

العراق كان في يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجة سنة

ستين للهجرة.

وعلى هذا يكون خروج مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة يوم

الثلاثاء يوم التروية، يوم الثامن من ذي الحجة سنة ستين،

ويكون يوم مقتله يوم الأربعاء لتسع مضين منه، أي يوم

عرفة، وهو الأقوى» (١) ...

* * * * *

أما ما هو المشهور في زماننا في مدينة الكوفة العلوية المقدسة حيث

يقيمون مراسم العزاء وتخرج المواكب والهيئات يوم الثامن من ذي

الحجة إحياءاً لمصيبة صهر أمير المؤمنين عليه السلام وكبير آل عقيل عليه السلام، فهو

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ٤٩.

إمّا اعتماداً على قول مثل الطبري المذكور في «القول الرابع»، أو أنه استباق منهم للخيرات حيث أنهم يقيمون مآتم المولى الغريب مسلم بن عقيل ؑ عند قبره، ويعلنون له ولاءهم وعرفانهم بفضلهم عليهم، وهو الذي يظلّ مدينتهم بقبته السامقة التي تعانق السماء علوّاً، وتفاخر نجوم السماء وبدرها جمالاً وروعة وهيبة، وتخطف الأبصار بيريقيها المتوهّج الوضّاء.

ثمّ يسارعون لزيارة سيّد الشهداء ؑ يوم عرفة لئلا يفوتهم الفيض العظيم وخصائصه ...

جيش العسكرين

قصة العرض التاريخي

عرض لنا المؤرخ صورة العسكرين بشكل مزدحم تتراكم فيه الحركات والمجاميع وتنقبض وتنبسط بسرعة مذهلة، وتتكَثَّر وتتناقص في رقعة جغرافية لا تتجاوز عدّة كيلومترات مربعة في حركة تخطف الأبصار، وتتسع وتضيق كثرة وقلة في فترة زمنية لا تتجاوز السويعات، وكأنها مدّ وجزر ينال أمواج البشر خلال نصف يوم أو أقلّ من ذلك.

وهذه السرعة في الانبساط والانكماش تفقد الباحث قوّة التركيز لتمييز الجبهات وانتشار القوى المقاتلة أو المناصرة.

ولاشكّ أنّ ساحة التحرك كانت مزدحمة متشابكة متداخلة تتعرّض للهزات في كلّ الاتجاهات، ولكن هذا لا يمنع من التأمل في المتون

التاريخية من خارج ميدان المواجهة بحيث نستطيع أن نستطلع الأمواج المتعارضة المتلاطمة التي كانت تغطي الأرض يوم ذاك.

ومن جهة ثانية فإنّ هذا الارتباك في النقل ورواية المشهد في جوّ ملتهب فرض على ذهن المتلقّي ما يشبه الحقيقة التي أراد لها المؤرّخ وأسياده أن يفرضها على ذهن المتلقّي، وهي أنّ الكوفة كانت بقصّها وقضيضها، وكبيرها وصغيرها، وسيدها ومسودها، وشريفها ودنيها، وأشرافها وسفلتها، ومواليها وعبيدها، ورجالها ونساءها، في قبضة البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام وفي طاعة سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، حتّى الأعداء الرسميين كانوا على حدّ الحياد المناصر للإمام الحسين وسفيره عليه السلام، كما يلحظ في طريقة عرض موقف النعمان بن بشير.

ولم يكن في الكوفة كلّها إلّا بعض الجيوب النائمة والأفراد المعدودين المحصورين الخائفين الوجلين من الطوفان القادم لقلع جذور الشجرة الأمويّة، فكتبوا من مخبئهم إلى يزيد وهم رجالان أو ثلاثة لا أكثر^(١). وفي مثل هذا الجوّ الغالب الذي كان يخدم أحفاد أبي طالب عليه السلام دخل الجبرو الأمويّ ابن زياد إلى الكوفة، واستطاع هذا النزق الخرق المبتور الجبان الخائر البطّاش المجرم المدان أن يقلب الكوفة في أقلّ من عشية،

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١، أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٧٧.

ولم تبلغ العشية ضحاها حتى أمسى المولى الشجاع والقويّ الهمام غير مطاع، وانقلب الأمر بتدبير الوغد إلى ما انتهى إليه.

هكذا هي قصة المؤرخ باختصار مع أهل البيت عليهم السلام عموماً، ومع مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام خصوصاً، دائماً وأبداً عند المؤرخين، ثم عند من تتبّع خطاهم وقبل أقوالهم، ولا حزاة على من قبل روايتهم ونقلها فهذا هو التاريخ المكتوب.

في سلطنة بني أمية الإعلامية تركيز شديد على إبداء أهل البيت عليهم السلام في صورة من لا يعرف من السياسة ومعاملة الناس شيئاً، وأن بني أمية ورثوا ترويض الناس كابراً عن كابر، وعرفوا كيف يأخذوا بزمام الناس ويملكو نواصيهم ويوجهونهم في أقل من لمحة البصر حيث يشاؤون، ويسوقونهم بالسياط والأموال للرضا بقتل مواليتهم وساداتهم وأئمتهم الذين رضوا بهم أئمة وقبلوهم قادة.

ولاشك في أن للسطو والسجن والتعذيب والإرهاب والترويع، والفضة والذهب والمال والدنيا وحب الرئاسة أبلغ الأثر في توجيه الرعاع والسفلة والأذئاب والانتهازيين.

غير أننا نقول: إن الجرو الأمويّ ابن زياد لم تكن عنده قدرة القادر وسلطة الساحر وسياسة الخبير الذكيّ الماهر، ولم يمتلك ما يؤهله ليقبل الأمر على الطهر الطاهر مسلم بن عقيل عليه السلام في هذه الفترة الوجيزة، ولم

تكن الشؤون الاجتماعية غائبة يومذاك عن المولى الفقيه العالم مسلم ابن عقيل ؑ وحاضرة عند ابن الأمة الفاجرة.

نحن نعلم أن الوغد الكاسر ابن زياد قد ترك البصرة متوجّهاً إلى الكوفة بمهمة خاصة محوّلة إليه من القرد الأمويّ يزيد، إذ أمره أن يدخل الكوفة، ويطلب المولى الغريب مسلم بن عقيل ؑ طلب الخرزة فيقتله أو ينفيه.

ونعلم أن القرد المخمور يزيد قد أخبره أن الكوفة هبت مع سفير الحسين ؑ.

ونعلم أن عبّيد القروذ ابن زياد كان حاكماً على البصرة يوم استلام المهمة الجديدة، والبصرة فيها من العسكر والجند ما يكفي.

والخبيث ابن زياد يعلم أن الكوفة التي تجمّعت حول سفير الحسين ؑ - حسب ما يرويّه المؤرّخ - ثكنة عسكريّة، فكيف يدخل الكوفة بأهله وعياله وشرذمة من المقربين إليه؟! ولم يأمر الجند الموالي له في البصرة أن يخرج معه أو يلتحق به؟!

لولا أنّه كان واثقاً من وجود عسكر وجند مواليّ له في الكوفة، يركن إليه ويعتمد عليه في حربه المقبلة مع أسد العقيليين ومن التّف حوله!

وسيُتّضح لنا ما ذكرناه في هذه المقدّمة الموجزة من خلال دراسة بعيدة عن صخب المؤرّخين وضجيج العساكر التي ملأت الآفاق في

الرحبة بين المسجد الأعظم وقصر الخبال، لنرى أنّ الأكثرية الساحقة التي كانت تستوعب الكوفة كانت منذ البداية مع الطاغوت متمردة على الحق ومنقلبة على إمام زمانها وعاصية لربّها وخالفها وبارئها، ولم يكن مع المولى الغريب مسلم بن عقيل والإمام الحسين عليهما السلام سوى الأقلية التي لا تكاد تبين عدداً بالنسبة لتلك الأكثرية، وإن كانت ساطعة لامعة يغطي نورها كلّ تلك الظلمات المتراكمة في جموع عساكر السقيفة.

ظليمة المولى الغريب عليه السلام

ربما كان من أعظم الظلم الذي تعرّض له المولى المفترى عليه مسلم ابن عقيل عليه السلام ما يلاحظ بكلّ وضوح في كلّ ما وقعت عليه في صفحات التاريخ وتحليل المحلّلين وعبارات المسجّلين لوقائع أيامه عليه السلام في الكوفة، التي تصرّح أو تشير بوضوح إلى أنّه فوجئ بغدر أهل الكوفة، وأنّ حساباته وإعداداته كانت تعتمد تماماً على ما أظهره من البيعة وإعلان الاستعداد للنصرة، وأنّه كان واثقاً منهم، وبانياً عليهم كلّ آماله، وأنّه لا يشكّ في نيّاتهم غير أنّ ظروف القهر والتخذيّل أثّرت فيهم، فبقي المولى الغريب حائراً لا يدري - والعياذ بالله - كيف يدبر الأمر ويدير الموقف حيث اكتشف أنّهم غدرة لا وفاء لهم، وأنّهم أفلتوا على حين غرة ونكثوا البيعة التي كان يعتمد عليها البطل الهاشمي مسلم عليه السلام،

فكأنه لم يحسب للغدر ونكث البيعة أيّ حساب، ممّا جرّه إلى الموقف الأخير، فبقي وحيداً متلذّداً حائراً لا يدري ما يفعل ...

هكذا باختصار ما وجدناه في كلّ ما وقع بأيدينا من كتب قديمة أو حديثة على كثرتها.

ونحن لا نريد الإطالة هنا في الدفاع عن هذه الظليمة، وإن عظمت وجلّت، وستقرأ في ثنايا هذا الكتاب ما يكفي لإثبات خلاف ذلك. ولكننا نودّ أن ننوّه هنا باختصار شديد جداً إلى عدّة تنويهات:

التنويه الأول: خبرة المولى العظيم مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن المولى العالم الفقيه الخبير مسلم بن عقيل عليه السلام أقلّ خبرة - والعياذ بالله - من عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وأبي هرّة الأزدي وغيرهم ممّن اعترض على الإمام السبط عليه السلام وذكره! بغدر أهل الكوفة بأبيه وأخيه..

التنويه الثاني: حضور المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بعيداً عمّا جرى لعمّه وابن عمّه وقد عاصر الأحداث والوقائع بنفسه الشريفة ورأى بعينه كلّ ما جرى من غدر وخيانة، فلا يسع القارئ للتاريخ أن يتغافل عن هذه الحقيقة ولأن يرمي الفقيه العالم مسلم بالتغافل والعياذ بالله.

التنويه الثالث: معرفة المولى الغريب عليه السلام بالمجتمع الكوفي

كان المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام عالماً عارفاً بالمجتمع الذي أرسل له، ولولا ذاك لما اعتمد الإمام السبط عليه السلام عليه وعلى تقيمه، وبني موقفه وانطلاق قيامه على ما سيخبره به ثقته، وقد أتينا على بيان ذلك مفصلاً في أكثر من موضع.

عسكر ابن زياد

لا نريد هنا تقديم دراسة توثيقية ومسح سكاني دقيق للكوفة أيام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنما نحاول باختصار وبالاستفادة من المتون التاريخية أن نبين أن الأكرية الكاثرة والأغلبية الساحقة كانت خاضعة للباطل، وأن هذا الأمر كان على علم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

وبيان هذه الحقيقة لا يضر الكوفة وقداستها، لأن الكوفة أرض مقدسة منذ أن خلقها الله، وهي مسكن الأنبياء وعاصمة خلافة سيد الأوصياء وخاتم الأولياء عليه السلام، ومعدن الشيعة وجمجمة العرب، وتقدس الأرض لا يدنسها ما ينتابها من قدر الأرجاس الذين ربما عاشوا عليها ردحاً من الزمن، تماماً كما هو حال كربلاء المقدسة نفسها ومكة والمدينة وغيرها من الأرضين المقدسة.

ونعود مرّة أخرى لنؤكد كما أكدنا في أكثر من موضع من كتاباتنا أنّ الشيعة كانوا في الكوفة أكثرية نسبةً للشيعة في بقية أصقاع العالم، لا بالنسبة للكوفة نفسها، فإنهم كانوا أقلية صغيرة صغيرة جداً بالنسبة لباقي السكّان، ويبقى الشيعة على طول التاريخ أقلية، وما أكثر الأدلّة والشواهد على هذه الحقيقة، وأنصار الحق منذ عهد أبينا آدم قليل، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

ولكي تتّضح الصورة نقسّم السكّان المتواجدين يومذاك إلى عدّة شرائح من حيث لحاظنا:

الشريعة الأولى: قوّات السلطة

تتكوّن هذه الشريحة من عدّة قوّات، نذكر منها:

القوة الأولى: العسكر

أطلق على الكوفة اسم «كوفة الجند» ^(١) وأصبحت معسكراً ثابتاً لجيش السقيفة.

وكانت أسماء الجند مسجّلة في ديوان ولها مسؤول، وكان الملك الثاني عمر بن الخطّاب قد دوّن الدواوين وأحصى أسماء الجند وأجرى لهم

(١) انظر: معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩١.

العطاء حسب الإحصائيات التي ضبط بها أسماءهم وأسماء عوائلهم وذرياتهم ومواليهم، وآخر إحصائية وصلتنا قام بها نغل آل أبي سفيان زياد بن أبيه:

في فتوح البلدان ومعجم البلدان:

«قال الوليد بن هشام: أخبرني أبي عن أبيه، وكان يوسف بن عمرو لاه ديوان جند العرب، قال:

نظرت في جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل، ووجدت العرب مقاتلة الكوفة ستين ألفاً وعيالهم ثمانين ألفاً» (١).

وهذه الإحصائية التي قام بها النغل الأموي زياد بن أبيه بين سنة خمس وأربعين وثلاث وخمسين كشفت عن ستين ألف مقاتل ضبطت أسماؤهم في الدواوين، وكانوا يأخذون العطاء رسمياً، ولم تكن إحصائية شاملة، لأنها ركزت على من ضبطه الديوان لأخذ العطاء، وحددت الإحصاء بالعرب خاصة دون الموالي وغير المسلمين، وهم كثير.

وكان هؤلاء الجند في طاعة الوالي المتسلط، لا يتجاوزونه حتى في أخص الشؤون الخاصة بهم:

(١) فتوح البلدان: ٣٤١، معجم البلدان: ١ / ٤٣٤.

روى الطبري في التاريخ بعد أن قطن عسكر السقيفة الكوفة استأذنوا عمر في بنیان القصب فأذن لهم فبنوا، قال:

«ثم إنَّ الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في سؤال. فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفرأ إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم - وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وأمره فيه - فقال: افعلوا» (١).

وهذا النص يكشف عن مدى التزام عسكر السقيفة بطاعة أميرهم، ودقتهم في تحري رضاه وأوامره حتى في شؤونهم الخاصة، فهم يستأذنون في غط البناء الذي يعيشون فيه ولو لم يأذن لبقوا في القصب ولو احترق عليهم كل يوم، لأنهم «لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وأمره فيه».

ولاشك أن الكوفة كانت تتقدم في النمو السكاني والعسكري منذ أن اتخذها الملك الثاني داراً لاستقرار عساكره وحتى تسلط عليها الجرو الأموي ابن زياد.

ويؤكد خضوع العساكر للسلطة التهديدات التي أرعد بها الجرو

الأمويّ المسعود بن زياد يوم هدّدهم بتفريق مقاتلتهم وإبعادهم إلى الثغور النائية، وهو يتكلّم معهم بلغة الأمر العسكريّ الذي يتصرّف بقطعاته العسكريّة كيف يشاء.

ومن الواضح أنّ هذه التشكيّة العسكريّة المنضبطة والمسيطر عليها من خلال التشكيّة الإداريّة والقبليّة والاجتماعيّة المرتبطة بالأجهزة الحاكمة بالولاء السياسيّ والدينيّ وضرورات الحياة من خلال الأرزاق والعطاء كانت مستقرّة في المعسكر الكبير «كوفة الجند»، وكانت تتحرّك إلى الثغور والمشاقي والصائفة التي ما فتئت أيّام الملك الثاني وما بعده حتّى أيّام ملك بني أميّة وتسلّط القرد المخمور يزيد على رقاب الناس.

وهي كانت على حالها من انتظامها في سلك الدولة أيّام النعمان بن بشير، وكذا أيّام الجرو الأمويّ المسعود بن زياد، ولم يصلنا أيّ خبر في التاريخ - حسب فحصنا - عن وجود تمرد أو تشتّت في البنية العسكريّة الأمويّة الرسميّة حتّى أيّام تشرف الكوفة بأقدام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، ولو كان لبان.

وقد دفع النعمان بن بشير قصر الخبال وما يعنيه من التسلّط الإداريّ ومركزيّة الحكم إلى ابن الأمانة الفاجرة بن زياد بما في ذلك قيادة العسكر! هذا باختصار عن الجند والعسكر والجيش الذي كان يدين بالولاء المطلق لساته وأمرائه.

القوة الثانية: الشرطة

كانت ثمة قوة أخرى «الشرطة»، يبدو من خلال تتبع موارد عملها والأوامر الصادرة لها من الجرو المسعور ابن زياد أنها كانت تقوم بمهام السيطرة على الكوفة داخلياً - كما هو شأن الشرطة في هذا الزمان -.

وكان رئيس هذه القوة لعيناً يقال له: «الحصين بن نمير التميمي»، وكانت خاضعة خضوعاً تاماً لقصر الخبال والجرو المتسلط عليه، ولم يبلغنا - أيضاً - أي خبر عن وقوع التمرد أو الانفلات في صفوفها، وغير ذلك.

وكانت هذه القوة متماسكة مشدودة القوام كما يتبين من متابعة تحركها في الكوفة يومذاك، وانتشارها على حدود المدينة، وضبطها لكل داخل وخارج إلى المصر.

وكان فيها من الكثافة العددية ما يسمح لها بتنفيذ أوامر الجرو الأموي الذي سلطهم على دور الكوفة لتفتيشها سكة بعد سكة وداراً بعد دار مع ما للكوفة من سعة جغرافية وانتشار أفقي وكثرة الدور.

كما أمره أن يضع المراسد على أفواه السكك، ففي تاريخ الطبري:

«وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على

أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور وجس

خلاها» (١) ...

وقد ورد في إحصاء روي عن بشر بن عبد الوهاب القرشي ذكر فيه أنّ في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وستة وثلاثين ألف دار لليمن، وعشرين ألف دار لسائر العرب (٢).

وهذا الإحصاء وإن كان متأخراً، لأنّ بشر بن عبد الوهاب قد توفي سنة ٢٥٤ هـ غير أنّه يعكس لنا نموذجاً من النمو السكاني (٣)، ويمكننا من رسم صورة للكوفة، لأنّ بشر لم يذكر الموالى وغير المسلمين الذين كانوا يتواجدون بكثافة وكثرة في الكوفة أيام تسلط ابن الأمة الفاجرة ابن زياد.

القوة الثالثة: الحرس

وهناك قوة أخرى تدعى: «الحرس»، وقد وردت الإشارة إليها مرّات عديدة في خضم الحديث عن الأحداث الجارية يومها، كما سيّضح من مراجعة المصادر، من قبيل النداء الذي نادى به ابن الأمة الفاجرة

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

(٢) الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥، وانظر: معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩٢، والمنتظم لابن الجوزي: ٤ / ٢٢١.

(٣) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥.

بعد أن خرج من جحره الى المسجد، حيث أمر منادياً فنادى بالكوفة:
 «ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم
 يحضر المسجد».

وهؤلاء الحرس إما أن يكون المقصود بهم حرسه الشخصي، وهو
 بعيد، وذلك لأن الحرس الشخصي له كان حوله ساعة خروجه إلى
 المسجد.

أو يكون الحرس الذين كانوا يجوبون السكك والمناهج في الليل
 - وربما في النهار أيضاً - لتأمين الدور والطرق، كما هو مرسوم إلى وقت
 متأخر، بل إلى اليوم في بعض البلدان.
 وربما كان المقصود كلا الطائفتين.

النتيجة:

تتكشف لنا - من خلال ما ذكرناه باختصار - حقيقة تاريخية ربما لا
 يُلتفت إليها كثيراً، وهي:

إنّ عسكر السقيفة وجيوش أمية كانت على الولاء لأسيادها، منتظمة
 في راياتها، منتشرة ضمن قطعاتها، ولم يذكر لنا التاريخ - حسب
 فحصنا - أيّ اهتزاز أو خلخلة في صفوفهم، إلا إذا كانت حالات نادرة
 من الانشقاقات التي لا يعتدّ بها لتذكر.

وكذا كانت قوى الأمن الداخلي «الشرطة والحرس» تحت السيطرة، وكانت من الكثرة والاستعداد بحيث تستطيع أن تمسح الكوفة وتفتشها داراً داراً!

الشريحة الثانية: لم يقاتلوا ولم يبيعوا

ورد في الأخبار أنَّ مجموع من بايع على يد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ثمانية عشر ألفاً، وهذا العدد لا يمثل الأعداد الهائلة التي كانت تقطن الكوفة يومئذٍ، بالخصوص إذا لاحظنا أنَّ الكوفة يومذاك كانت ثكنة عسكرية وتدعى: «كوفة الجند».

وأقل ما يقال فيها: أنها كانت تحوي مائة ألف سيف^(١)، فيكون العدد المباع أقل من خمس العدد القادر على القتال بالفعل، فهم أقلية رغم ضخامة العدد المروي.

بل إنَّ عدد الثمانية عشر ألفاً المذكور لا يساوي حتى أتباع هاني ورجاله من مراد فقط وأحلافها من كندة.. قال المسعودي في المروج:

«وهو - يعني هاني بن عروة - يومئذٍ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١، وغيرها.

وخذلاناً» (١).

والمفروض في العدد غير المبايع أن يكون على ولائه للسلطان، وفي أفضل حالاته يكون خاذلاً لسيد الشهداء ؑ، ولا يقال عنه: إنه ناصر للحسين ؑ، فهو لا يريد أن يسجل موقفاً مع المولى الغريب مسلم بن عقيل ؑ، ولا يمكن أن يُصوّر في المحايدين، لأنّ خذلان الحق وترك نصرته والحياذ فيه خيانة ومذلة.

فالأكثرية الساحقة كانت في عداد الخاذلين للحق منذ البداية، ولم تعلن ولاءها لسيد الشهداء ؑ بالمكاتبة ولا المبايعة لسفيره، لأنّنا لو افترضنا - وهو فرض بعيد - أنّ الذين كاتبوا غير الذين بايعوا، فسيكون مجموعهم أقلّ من سكان الكوفة ومقاتليها.

على أنّ العدد المبايع المشهور يربو قليلاً عن نصف العدد الذي كان يركب به هاني.

ومن الواضح أنّ الكوفة يومها كانت أكبر من مراد وكندة جميعاً، بل إنّ مراد وكندة كانت أكثر من ذلك، لأنّها لم تكن جميعاً تنضوي تحت راية هاني وتتولّى زعامته.

وإذا كان هاني يركب في العدد المذكور (ثلاثين ألفاً)، فهذا يعني أنّ

أتباع هاني أيضاً لم يبايعوا جميعاً، وذلك لأن العدد المباع والمكاتب كان عبارة عن خليط متراكم من مجموع الكوفة وليس من مراد وكندة فقط، ففيهم الكندي والمزحجي والهمداني وغيرهم.

فكان فيهم من يستجيب للزعامة القبلية غير أنه لم يعلن استعدادده للاستجابة للحق والقيام مع الإمام عليه السلام أو سفيره.

وهذه النتيجة ليست غريبة على المجتمع الكوفي الذي كان الشيعة فيه من أصغر الأقليات، وإن كانوا بالنسبة إلى أعداد الشيعة في غيرها من البلدان كثيرين.

ومن البديهي أن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام كان على علم تام بخذلان الأكثرية وعدم استجابتها لنداء القرآن وانصياعها المذلّ المشين لهتاف الشيطان، منذ أن ورد الكوفة، بل قبل ورودها.

وهذا كله لا يمنع من المجيء إلى الكوفة لإقامة الحجة وإتمامها، فالإمام الحسين عليه السلام هو حجة الله البالغة وسفيره مسلم عليه السلام هو المبلغ عنه.

الشريحة الثالثة: كاتبوا ولم يبايعوا

يمكن تقسيم الذين كاتبوا ولم يبايعوا إلى كتلتين:

الكتلة الأولى: المعروفون بالأسماء

ربما لا يستطيع الباحث أن يفتش الخرجين المملوءين ^(١) الذين حملهما سيّد الشهداء عليه السلام وعرضهما على الحرّ وأصحابه ^(٢)، ليطبّق الأسماء واحدة واحدة، فيميّز الذين كاتبوا سيّد الشهداء عليه السلام وباعوا له على يد سفيره المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

بيد أنّ ثمة جماعة يمكن أن نميّزها من خلال ورود أسمائهم في التاريخ ضمن كتبهم، ولم نجد لهم ذكراً أيام أخذ البيعة في الكوفة، بل نجدهم بين يدي ابن الأئمة الفاجرة منذ الساعات الأولى لدخوله قصر الخبال.

وقد خاطبهم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام واحتجّ عليهم بمكاتبتهم وخذلانهم، من قبيل شعث بن ربيعة وعزرة بن قيس وأمثالهم.

وهؤلاء كانوا يمثلون رؤوساً في المجتمع الكوفيّ يومئذٍ - وإن كانت رؤوساً عفنة - ولهم أتباع ينصاعون إليهم بدوافع قبلية أو سياسية أو بدوافع الطمع والمال والدنيا وما شاكل.

ويشهد لذلك أمر الجرو الأمويّ ابن زياد الصادر لهم الذي يقول فيه:

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٨١، تاريخ الطبري: ٥ /

«أخرج بمن أطاعك».

الكتلة الثانية: المعروفون إجمالاً

لابد أن يكون من هذا القسم جماعة ممن كاتبوا الإمام عليه السلام فأرسلوا له الكتب من الرجل والرجلين، ثم نكصوا على أعقابهم خاسئين.

فقد حدثنا التاريخ أن مجموع الكتب التي اجتمعت عند سيد الشهداء عليه السلام كانت اثنا عشر ألف كتاب من الرجل والرجلين والأربعة.

قال السيد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في المثير والمجلسي في البحار والبحراني في العوالم - رحمهم الله :-

«... وأنفذوا جماعة معهم نحو مائة وخمسين كتابة من الرجل

والاثنتين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك

يتأني ولا يجيبهم، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب،

وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر

ألف كتاب» (١).

فإذا جعلنا معدل من كاتب سيد الشهداء عليه السلام في كل كتاب ثلاثة،

وهو العدد المتوسط بين «الرجل والرجلين والأربعة»، على أن بعض

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٣٥، مثير الأحزان لابن نما: ٢٦، بحار الأنوار

للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٤، رياض الأبرار للجزائري: ١ / ٢٠٨.

الكتب تضمّنت أسماء أكثر من أربعة يكون عدد المكاتبين «ستّة وثلاثين ألفاً».

والحال أنّ العدد المشهور للمبايعين على يد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ثمانية عشر ألفاً.

فيكون وفق هذا الحساب نصف العدد المكاتب قد تخلّى عن البيعة وانقلب على عقبه واختار النار وبئس القرار.

وإن افترضنا العدد المكاتب أكثر من ذلك، فإنّه يؤكّد أنّ العدد المكاتب المتخلّى عن البيعة أكثر.

وإن افترضنا لكلّ كتاب رجلين فيكون العدد المكاتب: أربعة وعشرين ألفاً، فيكون مجموع عدد المكاتب والمبايع: «٤٢٠٠٠» وهو أقلّ من نصف العدد المفترض للمقاتلين في الكوفة.

وإذا افترضنا لكلّ كتاب رجلاً واحداً، فيكون العدد المكاتب اثنا عشر ألفاً، والمبايع ثمانية عشر ألفاً ويكون المجموع: «ثلاثون ألفاً» وهو بمقدار العدد الذي يركب بهم هاني بن عروة وحده، ولا ينهض ليكون ثلث السيّافة في الكوفة.

لفتة:

ربما يتبيّن من خلال ما شرحناه أنّفاً مغزى تأكيد سيّد الشهداء عليه السلام

على أهل الكوفة يومذاك أنه لا يعتمد على كتبهم ورسولهم، وإنما يعتمد ما سيكتب إليه سفيره العالم الثقة مسلم بن عقيل عليه السلام في تقييم الوضع، ويخبره به من تطابق الكتب والرسول مع ما سيجتمع عليه ذوووا الحجبى والرأى عندهم.

كما تبين لنا أن كشف النوايا الخبيثة المنطوية على الغدر والخيانة من نتاج سفر المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة.

الشريحة الرابعة: اتخذت الموقف المعادي قبل النداء

يحدثنا التاريخ عن جماعة كبيرة تعلقت بأغصان الشجرة الملعونة في القرآن قبل النداء بالشعار، من قبيل العدد الهائل الذي خرج بقيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي للمطالبة بهاني بن عروة، فأعلنت خضوعها للقرود، وأنها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة:

لما «بلغ عمرو بن الحجاج أن هائناً قد قتل، فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم.

ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذبح ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة» (١).

وقال الدينوري:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠.

«وبلغ مذحجاً أنّ ابن زياد قد قتل هائناً، فاجتمعوا بباب القصر» (١).

وهو إعلان صريح عن الانحياز إلى صفّ عساكر السقيفة، ونصرة ابن الأمة الفاجرة، والتحلل عن أيّ التزام مع غيره.

فإذا كانت مذحج القبيلة الكبيرة أعلنت الطاعة صراحة بجمع عظيم بشهادة المؤرخ، وبفرسانها ووجوهها بشهادة عمرو بن الحجاج، وهي قد خرجت للذود عن رئيسها والمطالبة بكبيرها هاني بن عروة، فكيف بغيرهم؟! وتعدّ مذحج مثلاً أبرزهم لنا الموقف الذي اتخذوه.

وخبر هؤلاء المسوخ قد بلغ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، «بل ربما أفادت بعض العبارات الواردة في الأخبار (٢) أنّ تحاذل مذحج وانصرافها عن نصره هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار، والانطلاق نحو القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون بدور عشيرة هاني المتخاذلة» (٣)..

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩٢، اللهوف لابن طاووس: ٤٧، تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

(٣) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير».

الشريعة الخامسة: بايعوا ولم يلبّوا النداء

لا شك أنّ جماعة ممن بايعوا لم يلبّوا النداء، وهو ممّا تقتضيه طبيعة الأحداث بشهادة الأرقام المذكورة بأقلّ من العدد المبايع من قبيل «٤٠٠»، «٣٠٠٠»، «٤٠٠٠»... وقد اتّفقت المصادر على أنّ المبايعين أكثر من هذه الأعداد، فيلزم أن تكون جماعة كبيرة قد نكثت البيعة ولم ترع العهود والمواثيق المأخوذة عليهم قبل النداء أو حين النداء. وهؤلاء أيضاً لم يغيبوا عن نظر المولى الغريب وحسابه لأنّه - على هذا الفرض - عبأ العدد المتوفّر لديه، وقسّم راياته حسب الأفراد الذين حضروا بين يديه (١).

الشريعة السادسة: لبّوا النداء ولم يثبتوا

اختلفت المصادر في تعيين العدد الذي لبّى النداء وتراوح التقديرين ثمانية عشر ألفاً والأربعمئة. والذي تفيده المصادر أنّ الكثير من هؤلاء لم يبلغوا مع المولى الغريب إلى فناء المسجد، وإنّما تفرّقوا عنه في الطريق قبل الوصول. ومنهم من وصل ثمّ نكص على عقبيه، فدخل تحت راية أولاد

(١) وسيأتي بقيّة الكلام عن هذه الشريعة أثناء الحديث عن عسكري المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

البغايا:

قال الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد:

«وجعل محمد بن الأشعث، وكثير بن شهاب، والققعاق بن شور الذهلي، وشيث بن ربعي، يردّون الناس عن اللّٰهوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الروميين ودخل القوم معهم».

النتيجة:

يمكن استخلاص بعض النتائج ممّا مرّ من البحث:

النتيجة الأولى: إنّ الأكثرية الكاثرة جند الشيطان

تبين من خلال تقسيم المجاميع السابقة أنّ الأكثرية الشاملة كانت في صفّ جند الشيطان، ولم يكن مع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ولا مع سيّد الشهداء عليه السلام إلاّ أقلية قليلة من المقاتلين في الكوفة، سواء المكاتبين أو المبايعين، أو المستجيبين لنداء: «يا منصور»، وإن كانوا بحسب العدد لو لوحظ لوحده عدداً كبيراً.

واتّضح هذه الصورة وبيان هذه الحقيقة التاريخية مهمّة غاية الأهميّة، ومؤثّر أبلغ الأثر في فهم الواقع، وتقرير الوضع، واستكشاف

الموقف، ومعرفة المواقف.

النتيجة الثانية: لم يكن الجرو المسعور وحده

إنَّ ما يرسمه لنا المؤرِّخ في صورة تثير العجب وتدعو المتأمل وغير المتأمل للاستغراب من خلال عرضه للدعيِّ ابن زياد، وكأنَّه كان وحيداً إلا من بعض مَنْ يسمِّيهم الأشراف! وبعض الشرط الذين لا يتجاوز عددهم جميعاً الخمسين، والدنيا كلّها مع كبير آل عقيل، غير أنَّ ذكاء ابن الأمة الفاجرة ودهاءه وخبرته ودقَّته في تنفيذ الخطوات المطلوبة في الوقت المناسب، وإطلاقه التهديدات وإعلانه البيانات على الناس أوقات الضرورة مهَّدت له الطريق لقلب الكوفة بقدرته الفدَّة على البطل الهاشميِّ مسلم بن عقيل عليه السلام واستقطاب كلّ القوى الموالية له وتركه وحيداً متلذّداً.

تتضح هذه الصورة السحرية الساخرة ويتبيَّن زيفها وكذبها والتمويه فيها.

ويشهد لوجود العدة والعدد عند الجرو المسعور ابن زياد قول السيّد ابن طاووس رحمته الله في اللهوف:

«فتحصَّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب

المسلم» (١) ..

وقول ابن سعد في الطبقات:

«... واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم

أصحاب عبيد الله بن زياد» (٢).

وقول ابن أعثم في الفتوح:

«... وخرج عبيد الله بن زياد من القصر - يعني بعد أن اعتقل

هاني بن عروة - حتى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى

عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي

أيديهم الأعمدة والسيوف المسللة، فقال: أما بعد، يا أهل

الكوفة ...».

وهذه العبارات وغيرها - مما ذكرناه - تكشف أن الجرو المسعور ابن

زياد كان متوقفاً على جيش كثيف مستعداً للقتال والاشتباك مع

أصحاب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، ولو كان العدد قليلاً لما

استطاع الوقوف والقتال.

وأما قول المؤرخ:

(١) اللهوف: ٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى: خ ١ / ١٤٦.

«وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس».. كما في تاريخ الطبري.

لا يعني بالضرورة أنّه كان وحيداً، وأنّه كان في قلّة من العدد والعدّة، وإنّما يفيد أنّه كان قد وظّف جميع قطعانه في حرب المولى الغريب عليه السلام، وأخرجهم في مهامهم التي رسمها لهم، فكان في القصر في تلك الساعة خاصّة في قلّة ممّن حضره.

ومما يشهد لقلّة العدد في ساعة من تلك الساعات وليس مطلقاً قول كثير كما في تاريخ الطبري:

«أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبي عبيد الله..».

ومن الواضح أنّ التعبير هنا بالقلّة تعبير نسبيّ، فالقصر يزدحم بالحركة حيث يتردّد القادة والأتباع دخولاً وخروجاً لاستلام الأوامر وتقديم التقارير، ويعبّج بحركة الشرطة والحراس الشخصيّين وغير ذلك، بيد أنّ هذا العدد المتواجد في القصر يعدّ قليلاً بالنسبة للأعداد الضخمة المتجفّلة خارج القصر وفي رحبة المسجد وشوارع الكوفة وأزقتها.

ثمّ إنّ العدد مهما كان كبيراً، فهو يعدّ قليلاً بالنسبة للجبان الذي يخاف من ظلّه، ولا يقوى إلّا إذا كان في أحضان عسكره وجنده.

بل لو كان أهل الأرض كلهم مع الجبان ابن زياد لخاف واستوحش،
لأنه يعرف شجاعة البطل الهاشمي ابن عقيل عليه السلام وقوته وصولته.

النتيجة الثالثة: علم المولى الغريب عليه السلام بالشرائح

إن الشرائح الخمسة الأولى كانت قبل التوجّه نحو القصر وتقسيم الرايات، وكان المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام على علم تامّ بها قبل أن ينادي بشعاره، بل كانت مواقف الشريحتين الأولى والثانية واضحة للعيان قبل أن يخرج المولى الغريب عليه السلام من مكة، وتبين موقف الشريحة الثالثة عند دخوله الكوفة، وانكشفت الشريحة الرابعة قبل أن ينادي بالشعار، وتحدّد موقف الشريحة الخامسة قبل تقسيم الرايات والانطلاق نحو القصر.

تذكير مهمّ

لا يقال: إذن كيف كتب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى سيّد الشهداء عليه السلام بالقدوم إذا كانت الأقلّيّة معه، وهو يرى ذلك؟
فإنّه يمكن الجواب على ذلك باختصار من خلال الردود التالية:

الردّ الأول: كم من فئة قليلة!

إنّ القانون الربّاني حاضر عند الفقيه العالم من آل محمّد عليه السلام مسلم ابن عقيل عليه السلام والقرآن ملء صدره وقلبه، وهو يقول: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ، فهو وإن رأى القلّة في الأتباع بيد أئمّها كانت بمقدار وعديد يسوّغ النهوض بهم.

الردّ الثاني: قيام الأئمة بأقل من هذا العدد

قام الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة المدّ الأمويّ القادم من الشام بقيادة معاوية باثني عشر ألفاً^(١)، وقاتل النبيّ في كثير من معاركه بأقلّ من هذا العدد مقابل أعداد ضخمة من الكفّار. فلو كان العدد المباع ثابتاً لكان كافياً للمقارعة وفق الحسابات الظاهريّة.

الردّ الثالث: ملاحظة الجانب الغيبيّ

ملاحظة الجانب الغيبيّ في القيام الحسيني، وذلك أنّ المولى كتب إلى سيّد الشهداء عليه السلام وفق التكليف الظاهريّ ومتطلّبات إقامة الحجّة وإتمامها على الناس، وإلاّ فهو عالم - ولا شكّ في ذلك أبداً - أنّ وجهة سيّد الشهداء عليه السلام كربلاء وليست الكوفة، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام ماضٍ في تنفيذ مشيئة الرّب والإقدام على الفتح بالشهادة وإجابة دعوة الله ...

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٠ / ١٦.

قطعات عسكر ابن زياد

والآن نستعرض - بشكل سريع - القطعات التي تألف منها عسكر ابن زياد، وهي وإن لم يصرح بها التاريخ تصريحاً واضحاً، وعرضها بشكل مغبش استخدم التعقيم والتلغيز في التعبير، إلا أنها تتكشف للمتأمل بسرعة حينما يقرأ النصّ.

ولا يخفى أنّ القطعات التي سنذكرها من خلال استنطاق النصّ التاريخيّ تنتظم في العسكر الذي باشر الممارسات والتحركات العسكرية يوم حصار القصر، ويمكن أن يتوسّع الباحث في التنقيب والتنقيب، فيحصي أصحاب الرايات والقطعات التي كانت منتظمة من قبل ضمن جيش السقيفة المتواجد في الكوفة باعتبارها مركز الجند وثكنة العسكر، أو التي ميّزها ابن زياد في الأرباع كما روى البلاذريّ والطبري:

«فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى

رأس ربعهم» (١) ...

القطيع الأول: عسكر مذحج بقيادة عمرو بن الحجاج

كانت مذحج من أكبر القبائل التي قطنت الكوفة واستوطنت فيها، وقد أطلق على قبيلة مذحج لفظ: «شعب»، لأن القبائل تشعبت منها، فهي من القبائل الرئيسيّة في العرب، وتكون بمنزلة الرأس للأنساب (٢)، ومن فصائل قبيلة مذحج: «مراد»، و«زبيد»، «عنس»، و«بني سعد العشيرة» و«جعفى النخع» (٣) ...

وكانت مذحج قبيلة مقاتلة حتّى عرفت بعض حروبها بالأيام، ك«يوم البيداء» بين عدوان ومذحج، و«يوم السلان»، و«يوم خزاز» بين مذحج وربيعة، وقد احتكت ببعض القبائل، فأدّى الاحتكاك إلى حروب، كحربها مع قبيلة سليم وقبيلة عامر بن صعصعة، وقبيلة تميم، وغيرها، وقد صارت قبيلة همدان وقضاة وطيء والأزد وكندة

(١) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

(٢) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٢.

(٣) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٦.

ونجد (١) ...

وكان لمذبح دور كبير وإسهام فاعل في المعارك والحروب التي جرت في العراق، وقد شاركت المرأة المذبحية في القتال في أيام القادسية، فكانت نساء النخع وبجيلة يقمن بمهام قتالية، وبقي المذبحيون يواصلون القتال في القادسية ومعارك المدائن وجلولاء ونهاوند (٢) ...

وهذه القبيلة التي تعدّ من أكبر وأضخم القبائل في الكوفة، قد خرجت قبل أن يرفع المولى الغريب عليه السلام شعاره: «يا منصور» لتعلن الطاعة وملازمة الجماعة، وقد خرجت لهذا المهمّ خروجاً منظماً تحت قيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وأثبتت من خلال ائتمارها بأمره وتحليها عن زعيمها هاني أنها في سلك الطاعة للقرود الأموية وأذناها.

وقد بقي هذا الوغد أميراً في جيش السقيفة، وخرج لقتال سيّد الشهداء عليه السلام على آلاف من المحاربين في كربلاء، وكان على المشرعة لمنع سيّد الشهداء عليه السلام ومن معه عن الماء.

روى ابن الأثير في الكامل والسيّد ابن طاووس رحمهما الله في اللهوف، واللفظ

(١) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٤.

(٢) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٧

للأخير:

«قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذبح كافة حتى أحاط بالقصر، ونادى:
أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذبح ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة» (١).

وهذا الطاغى الفاسد يعني ما يقول، وكلماته لها دلالات واضحة لا لبس فيها ولا تغيبش، وقد تقدّم نحو القصري قود الزبد المتعفن الممثل لأوامره، المطيع لرأيه إطاعة عمياء تستعدّ معها للتخلي عن مطلبها في إنقاذ زعيمها وسيدّها، فنادى فيهم بالرجوع فرجعوا!!!
فهم في قبضة ابن الأمة الفاجرة ابن زياد وعلى أمره وطوع إرادته، وكلّهم على الحقّ وأنصاره منذ تلك الساعة - على الأقلّ -.

القطيع الثاني: عسكر كثير بن شهاب

روى الطبري وابن الأثير وغيرهما، واللفظ للأول:
«... ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي،

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠، واللهوف: ٤٧.

فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذبح، فيسير بالكوفة» (١).
 من الواضح جداً أنّ قوله: «فيمن أطاعه» يشير بصراحة إلى وجود
 ناس قد دخلوا تحت راية المأمور كثيرين شهاب والققعقاع وشمروغيرهم
 من الأسماء المنصوص عليها، فهم قادة ولهم أتباع، وقد صدرت إليهم
 الأوامر بالتحرك في قطعات للنزول إلى الساحة، وصدور الأمر إلى القائد
 يكفي عن التفصيل.

القطيع الثالث: عسكري الققعقاع الذهلي

في تاريخ الطبري أيضاً:

«وقال مثل ذلك - أي أن يخرج بمن أطاعه - للققعقاع بن شور
 الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجار بن أبحر العجلي
 وشمربن ذي الجوشن العامري» (٢) ...

وروى الطبري قال:

«فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحى
 ويتأخر، وأرسل الققعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن
 الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخر عن

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.
فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع
فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير- وكانوا مناصحين لابن
زياد -: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشرف
الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم،
فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواءاً، فأخرجه» (١) ..

وكانت المجاميع الخارجة مع هؤلاء من الكثرة والكثافة بحيث كانت
تشكل سداً يقطع الطريق أمام الحشود المتجمعة في الميدان.
قال ابن الأثير:

«وكان فيمن قاتل مسلماً محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي
التميمي والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم
الليل يتفرقوا، فقال له القعقاع:

إِنَّكَ قَدْ سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ وَجْهَ مَهْرِهِمْ فَافْرَجْ لَهُمْ يَتَفَرَّقُوا» (٢).
فقوله: «إِنَّكَ سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ وَجْهَ مَهْرِهِمْ» يكشف عن وجود عسكر
يكفي لسد وجه المهرب على تلك الجموع، وأنها كانت في محاصرة

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

كاملة ...

القطيع الرابع: عسكري حجار بن أبجر العجلي

في تاريخ الطبري:

«وقال مثل ذلك - أي أن يخرج بمن أطاعه - للقعقاع بن شور

الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمز

ابن ذي الجوشن العامري» (١) ...

القطيع الخامس: عسكري محمد بن الأشعث

في تاريخ الطبري:

«... وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة

وحضر موت» (٢) ...

وقال ابن الأثير:

«وكان فيمن قاتل مسلماً محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي

التميمي والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم

الليل يتفرقوا، فقال له القعقاع: إنك قد سددت عليهم وجه

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

مهرهم فافرج لهم يتفرّقوا» (١).

وقال الطبري:

«وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به الى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل الى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي.

فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين» (٢) ...

القطيع السادس: عسكر الحرس والشرطة

قال الدينوري بعد أن روى أحداث تفرّق الناس:

«... فخرج - أي الدعيّ ابن الدعيّ ابن زياد - فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقناديل، وأمر

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

منادياً فنادى بالكوفة:

ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر
المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال:

يا حصين بن نمير- وكان على الشرطة -، ثكلتك أمك إن ضاع
باب سكة من سكك الكوفة، فإذا أصبحت فاستقرء الدور،
داراً، داراً، حتى تقع عليه» (١).

وهذا النص يفيد أنّ ابن زياد كان له حرس وشرطة منتشرون في
الكوفة، أمر أن يجتمعوا إليه، وكان للشرطة رئيس وقائد، وهو «الحصين
ابن نمير»، وكان للحصين هذا أفراد وقوة تؤهله لاستبراء بيوت
الكوفة ...

وقال اليعقوبي في تاريخه:

«ف فهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط
يطلبون مسلماً» (٢) ...

(١) الأخبار الطوال: ٢٣٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

القطيع السابع: عسكر شمر بن ذي الجوشن

قال الطبري:

«وقال مثل ذلك - أي أن يخرج بمن أطاعه - للقعقاع بن شور
الذهليّ وشبث بن ربعيّ التميميّ وحجّار بن أبجر العجليّ وشمر
ابن ذي الجوشن العامريّ» (١) ...

القطيع الثامن: عسكر الوجوه والأشراف!

في خبر عمّار الدهنيّ - وهو حديث طويل رواه الطبري :-
«... وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في
القصر، فلمّا سار إليه مسلم فأنتهى إلى باب القصر أشرفوا على
عشائريهم، فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم» (٢)..
وقال الطبري أيضاً في حديث طويل:
«... وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب
الذي يلي دار الروميين» (٣) ...

وقال ابن حجر:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

«... وبعث عبيد الله إلى وجه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم» (١) ..

وقال ابن الأثير:

«... وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين» (٢) ...

هؤلاء السفلة الذين يسمّونهم الشرفاء إنّما حازوا هذا الاسم باعتبار أنّهم وجه معروف لها أتباع وأنصار وذيول ..

القطيع التاسع: عسكريا بن ربيعي

قال الطبري:

«وقال مثل ذلك - أي أن يخرج بمن أطاعه - للقعقاع بن شور الذهليّ وشبث بن ربيعيّ التميميّ وحجار بن أبجر العجليّ وشمر ابن ذي الجوشن العامريّ» (٣) ...

وفي الكامل لابن الأثير:

(١) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

«وكان فيمن قاتل مسلماً محمّداً بن الأشعث وشبث بن ربعي التميمي والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يفرّقوا، فقال له القعقاع: إنك قد سددت عليهم وجه مهرهم فافرج لهم يفرّقوا».

وفي تاريخ الطبري تصريح بعقد اللواء لشبث بن ربعي:

«... فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمّد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد - أصلح الله الأمير! معك في القصرناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواءً، فأخرجه» (١) ..

القطيع العاشر: عسكر عمرو بن حريث

قال الطبري:

«... وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس» (٢) ...

* * * * *

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

هذه القطعان العشرة - التي أحصيناها على عجل - خرج كلّ قائد لها بالزبد الذي تبعه وعقد له راية، لأنّ مفهوم قول الدعوي: «اخرج بمن أطاعك» يعني تخويله وتأميره وعقد الراية له.

وهذا الإحصاء البسيط يكشف زيف الادعاء التاريخي الذي يؤكّد بقاء ابن زياد في بداية الأمر وحده لا ناصر له ولا أتباع، ثمّ تحوّل الناس إلى جهته بفعل خططه وسياساته!

عدد عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

اختلف المؤرّخون في العدد الذي لبّى نداء المولى الغريب مسلم بن

عقيل عليه السلام:

فهُم عند ابن سعد أربعمئة (٤٠٠) من الشيعة، قال:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمئة من

الشيعة».

وعند البلاذري أربعة آلاف (٤٠٠٠) من أصل ثمانية عشر ألف:

«وأتى مسلماً خبرهائى، فأمر أن ينادى في أصحابه، وقد تابعه

ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله، فلم يجتمع إليه

إلا أربعة آلاف رجل، فعبّأهم ثمّ زحف نحو القصر» (١).
 ويفيد الدينوري من خلال جمع عبارتين له أنّهم ثمانية عشر ألف
 رجل:

«ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هاني بن عروة نادى فيمن كان
 بايعه، فاجتمعوا ... فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر،
 واتّبعهم هو في بقيّة الناس» (٢).
 وقال قبل ذلك:

«ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتّى
 بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل» (٣) ...
 وفي إحدى روايات الطبري أربعة آلاف (٤٠٠٠) من أهل الكوفة:
 «فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف
 من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته» ...
 وفي الرواية الأخرى للطبري تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد
 والسوق وزيادة:

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٥.

«عن عبد الله بن خازم في خبر طويل: قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرهائي ...

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: "يا منصور أمت"، فناديت: "يا منصور أمت"، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه ... ثم أقبل نحو القصر»..

وفي خبر عباس الجدلي:

«خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة ...

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء ...» (١).

وفي الرواية الثالثة للطبري لم يحدّد العدد بالضبط، وإنما عبّر عنهم ناس كثير:

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير».

وعند ابن أعثم: ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون..

«وأقبل مسلم بن عقيل عليه السلام في وقته ذلك عليه وبين يديه

ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون...» (١).

واجتمعوا على قول المسعودي دفعة واحدة ثمانية عشر ألف رجل!!

«فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى

ابن زياد» (٢).

وهم عند ابن حبان: ثلاثة آلاف فارس..

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد

الله بن زياد» (٣).

وعند أبي علي مسكويه مثل إحدى روايات الطبري:

«وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر. فأتوه بالخبر على

وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره: يا منصور أمت، وكان قد بايعه

ثمانية عشر ألف رجل، فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

(٢) مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

(٣) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

الأرباع، وقَدَّم أمامه صاحب ربع كندة، وأقبل نحو القصر،
فتحرَّز عبيد الله، وغلَّق الأبواب، وسار مسلم حتَّى أحاط
بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حتَّى امتلأ المسجد
والسوق، وما زالوا يتوثَّبون حتَّى المساء» (١).

وعند ابن شهر آشوب: ثمانية آلاف!!

«ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواله
فاجتمع إليه ثمانية آلاف مِّن بايعوه» (٢) ...

وعند ابن الجوزي في المنتظم: أربعة آلاف..

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة
آلاف» (٣) ...

وعند ابن الأثير: ذكر أعداد المبايعين والمجتمعين حوله ثمَّ جمعهم
بقوله: «ناس كثير».

«وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور
أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٩.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.

(٣) المنتظم: ٥ / ٣٢٦.

الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير...» (١).

وعند ابن نما: جماعة ممن بايعه..

«ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممن

بايعه» (٢) ...

وعند ابن طاووس: لم يحدد العدد وإنما خرج بمن بايعه..

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب

عبيد الله بن زياد» (٣) ..

وقال ابن كثير:

«فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة..» (٤).

وهم عند ابن حجر: أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة ...

«ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه

أربعون ألفاً من أهل الكوفة» (٥) ..

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

(٣) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٤٧.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

(٥) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

الأعداد باختصار

فتكون الأعداد باختصار:

ابن سعد: ٤٠٠ من الشيعة.

البلاذري: ٤٠٠٠ من أصل ١٨٠٠٠.

الدينوري: ١٨٠٠٠.

الطبري: ٤٠٠٠.

الطبري ٢: تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة على تفصيل في الانقباض والانبساط.

الطبري ٣: معه ناس كثير.

ابن أعثم: ١٨٠٠٠ أو يزيدون.

المسعودي: ١٨٠٠٠ اجتمعوا دفعة واحدة!

ابن حبان: ٣٠٠٠ فارس.

ابن شهر آشوب: ٨٠٠٠.

ابن الأثير: ناس كثير كما صرح.

ابن نما: جماعة.

ابن حجر: ٤٠٠٠٠.

فإذا حملنا عبارات «بمن بايعه» للسيد ابن طاووس، و«جماعة»،

و«ناس كثير»، و«امتلاً المسجد والسوق»، وغيرها على الإجمال، وذكر الأعداد على التفصيل نرى الأعداد تتراوح بين الأربعمائة إلى الأربعين ألفاً.

ووقوع الاشتباه في التخمين بين الأربعمائة والأربعين ألفاً لا يقبل من مثل الأعمى، فربما استطاع أن يميّز بسمعه الفرق بينها، وهم حسب الفرض جيش يموج بعضه على بعض.

وكذا الكلام في باقي الأعداد ومقارنتها إلى بعضها من قبيل الأربعمائة بالمقارنة إلى الأربعة آلاف، والأربعة آلاف بالمقارنة إلى الثمانية عشر ألف، والثمانية آلاف إلى باقي الأعداد وهكذا ...

الاجتماع التدريجي

ربما يقال: إنهم اجتمعوا تدريجياً وروى كل مؤرخ مشاهدات راويه، وبهذا يفسر هذا الاختلاف الحاصل في تقدير العدد. ويناقد هذا التفسير لسببين:

السبب الأول: وجود الشواهد في عبارات المؤرخين

إن وجود بعض الشواهد في عبارات بعض المؤرخين تنفي هذا التفسير من قبيل قول المسعودي: «فاجتمع إليه في وقت واحد»، وخبر الطبري وغيره الذي فصل بين العدد المذكور ساعة الانطلاق وتناقضه،

ثم تداعي الناس حتى امتلأ المسجد والسوق ...

السبب الثاني: المؤرخ يخبر عن وقت معين

إنّ كلام المؤرخ ينصبّ - كما هو ظاهر عباراتهم - على الذين أجابوا النداء حين ارتفع الشعار، فهم جميعاً يتحدثون عن وقت واحد لا عن أوقات مختلفة، والوقت كما هو معلوم لم يدم طويلاً.

أشهر الأعداد: ثمانية عشر ألفاً

أما عدد الأربعون ألفاً عند ابن حجر، فهو خبر شاذّ تفرّد به حسب فحسنا، وربما كان تصحيفاً كما يقوى في النظر. فيبقى أكبر الأعداد: «الثمانية عشر ألفاً»، وهذا العدد يمكن أن يلاحظ عليه الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: التخمين

لم تتوفّر لدينا إحصائيات دقيقة غير أنّ الواضح من عبارات الراوي والمؤرخ أنّ العدد المذكور لم يكن سوى تخمين من خلال العدد المرصود في المبايعة، فهم يفترضون أنّ من بايع أجاب.

ومن ذا جلس على قارعة الطرق المؤدية إلى المسجد والقصر وأسقط من سبخته خرزة لكلّ مقاتل مرّ عليه؟!

وكّل ما ذكر من الأعداد قائم على التخمين، إلّا ما ورد فيه نصّ

صريح بالإحصاء، أو ورد عن معصوم.

الملاحظة الثانية: اجتماع العدد

لا يخفى أن النداء بالشعار كان مفاجئاً، وقد جرت أحداث القصر كلها في أقل من نهار كامل، ومن هنا يتردد الناظر في مجريات الأحداث في قبول إمكان اجتماع هذا العدد الهائل في غضون فترة قصيرة مهما كانت الكوفة صغيرة، بل مهما كانت الجموع مستعدة وجاهزة للإجابة. ومن البديهي أن هذه الجموع كانت منتشرة في الكوفة منصرفة إلى اهتماماتها اليومية، ومنهمكة في شؤون حياتها، ولم تكن متكرسة في قطعات، ولا محتشدة في ساحة قتال تحت الرايات، حتى لو فرضناها أنها كانت في حالة إنذار نتيجة الظروف، غير أنها كانت في إنذار وهي في دورها وضياعها ومناهجها وأسواقها وباقي مشاغلها الحياتية الأخرى.

ولا يلتفت إلى قول الدينوري: «وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله، فلم يجتمع إليه إلا أربعة آلاف رجل، فعبأهم ثم زحف نحو القصر»^(١)، لما فيه من تهافت، إذ يقول: صاروا في الدور حوله، ثم يقول: لم يجتمع إليه إلا أربعة آلاف رجل فعبأهم.. وكيف يجتمع هذا العدد الهائل، وأي دور حوله تستوعبهم وتؤمن لهم الخدمات

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١.

والاحتياجات الضرورية خلال فترة وجودهم، وهم لا يعلمون متى يستنفرهم المولى الغريب ؑ، ولكثير من الإشكالات الأخرى..

ثم كيف خفي بعد كل هذا التجمع الضخم والجمهرة المحاشدة في منطقة معينة، كيف خفي بعد كل هذا مكان المولى الغريب على الشرير الغبي سليل البغاء ابن زياد؟

الملاحظة الثالثة: انتشار جند الجرو المسعور ابن زياد

لم تكن الكوفة منفلة من عسكر السقيفة وأتباع الجرو الأموي كما بيّنّا ذلك أثناء الحديث عن «عسكر ابن زياد»، وكانت الشرطة والجند منتشرون في المناهج والسكك، يراقبون الخطط عن كثب، فقد روى الطبري قال:

«إنّ كثيراً ألقى رجلاً من كلب يقال له: "عبد الأعلى بن يزيد"، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمّد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه

سلاحه ، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه» (١).

وكان هؤلاء العفاريت يشكّلون عائقاً وسداً منيعاً أمام حركة القادمين
جهة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

الملاحظة الرابعة: تفرّقهم

إذا افترضنا أنّ هذا العدد اجتمع للمولى الغريب عليه السلام ، وقد تفرّق قبل
وصوله إلى القصر كما هو المتفق عليه - تقريباً - ، أو أنّه تفرّق بعد وصوله
لكن بعد اشتداد حملات التهديد والتخذيّل ، وعلى كلّ الاحتمالات فإنّ
تفرّقهم حصل بين الفترة الواقعة بين قبيل المغرب والمغرب وفق ما ورد
في المصادر من استمرار خطاب المخدّلين حتّى كادت الشمس أن
تجبّ.

فكيف نتصوّر تفرّق هذا العدد الكبير في غضون تلك الفترة
القصيرة؟!

ولو فرضناهم قد تفرّقوا خلال المسيرة نحو القصر، كما أفادت بعض
الأخبار، فكم هي المسافة من مراد إلى القصر حتّى يتسنى لهذه الأعداد
الغفيرة بالتسلّل والانصراف؟

هذا! وقد أكّدت المصادر التاريخية أنّ مذحجاً - بما فيها مراد - كانت

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

تسكن في جهة القبلة من المسجد.

وجهة القبلة تمتدّ إلى جهة النجف، والمسافة بين قبر أمير المؤمنين ؑ ومسجد الكوفة لا تبلغ عشرة كيلومترات، وكانت حدود الكوفة البلديّة تنتهي عند الخندق المسمّى بـ«خندق سابور» أو «كري سعد - سعدة»، والمسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، حتّى قال أبو محمّد موسى بن إسحاق بن طلحة:

«كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنّبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر، ودير هند واقع بحضرة خندق الكوفة ممّا يلي الخندق»^(١)، وبالتقدير المعاصر تزيد المسافة بين المسجد الأعظم والكري عن الكيلومترين قليلاً..

فكيف نتصوّر تفرّق هذه الأعداد الغفيرة في مسافة أقلّ من ذلك بكثير، إلّا أن نقول: إنّها كانت تدخل وتخرج في نفس الوقت، وهذا ما يمنعنا من تصويره كعسكر اجتمع لتلبية النداء.

الملاحظة الخامسة: عدم ثبات المبايعين

لا نشكّ أنّ جماعة ممّن بايع المولى الغريب ؑ لم يثبت على بيعته

(١) انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ٧٠ -

وباع دينه بدنياه غيره، وكان لدخول الجرو المسعور ابن زياد الكوفة أثره البالغ في تغيير مواقف جملة من الضعفاء والانتهازيين وأتباع السقيفة، وغيرهم من القطعان التي كانت في صف الحق لأي داع من الدواعي، ثم مالوا إلى مواقعهم الحقيقية التي تكشف عن نياتهم ومعتقداتهم، أو أنهم انحازوا إلى انتمائهم القبلي وغير ذلك.

ويؤكد ذلك ما ورد في المصادر من التصريح بأن الذين أجابوا هم أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألفاً.

فلا يمكن - والحال هذه - أن نتصور أن عدد الثمانية عشر ألفاً بقي على حاله لم ينقص أبداً في خضم تلك الأحداث.

الملاحظة السادسة: اشتهاار غيره من الأعداد

بناءً على ما مرّ ذكره في استعراض المصادر التي ذكرت الأعداد نرى أعداداً أخرى غير هذا العدد تتراوح بين «الأربعمائة» و«الأربعة آلاف»، وقد اشتهر العدد الأخير في المصادر، وورد في مصادر يعتد بها تاريخياً، ويهتم بها أهل الاختصاص والتحقيق.

فما هي الضرورة لقبول عدد الثمانية عشر ألفاً، مع ما يمكن أن يرد عليه من الملاحظات، وعدم التحقق منه بالإحصاء.

الملاحظة السابعة: المناقشة في ما يربو على هذا العدد

إنَّ المناقشة في هذا العدد (١٨,٠٠٠) هي بالتالي مناقشة للأعداد التي تربو عنه وتزيد، وهي مع كونها نادرة وشاذة ترد فيها نفس المناقشات.

الملاحظة الثامنة: يبقى العدد أقلية

أشرنا أكثر من مرّة أننا لو افترضنا أنَّ العدد الذي لبّى النداء كان ثمانية عشر ألفاً، فإنّه يبقى أقلية بالنسبة إلى الحشود الهائلة بالأعداد الكبيرة المنضوية تحت راية الضلال وفي عسكر الجرو الأمويّ، وقد فصلنا ذلك أثناء الحديث عن عسكر ابن زياد، فلا نعيد.

النتيجة:

تبين من جميع ما ذكرناه سابقاً أنَّ من استجاب لسيد الشهداء وسفيره مسلم بن عقيل عليه السلام سواء بالبيعة أو بتلبية النداء عند رفع الشعار هم الأقلية، بل أقلية قليلة من مجموع سكّان الكوفة يومذاك، وذلك على فرض اعتبار أعلى الأرقام المنصوص عليها في التاريخ من التابعين أو المبايعين.

المجاميع التي لبّت النداء

وكيف كان! فإنّه يمكن تقسيم العسكر الذي أجاب النداء بحسب الثبات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الذين لبّوا النداء ولم يثبتوا

كانت هذه المجموعة هي المجموعة الأكبر، والتي تشكّل الأكثرية الكاثرة في عسكر المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد تجمع خليطهم المعقّد وتفرّق خلال ساعات من ذلك اليوم العصيب، فخذلوا الحقّ ونصروا الباطل، وكان من عوامل تخاذلهم وانجحارهم ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المجموعة الثانية: الذين لبّوا النداء وثبتوا

سنأتي على دراسة هذه المجموعة في دراسة مستقلة أثناء الحديث

عن الليلة الأخيرة من وجود المولى الغريب في الكوفة إن شاء الله تعالى.

رايات المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

يختلف التقسيم المدني الاجتماعي عن التقسيم العسكري للجيش الذي يريد أن يدخل القتال ويمارس الحرب في ساحة الوغى، وإن كان الأساس في التقسيم المدني يقصد به التنسيق المسبق والبقاء على حالة الجهوزية وتيسير تقسيم المؤن والرواتب والعطاء.

فنحن نعلم أنّ عسكر السقيفة الذي خرج لقتال سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام لم يقسم من الكوفة إلى ميمنة وميسرة وقلب إلا صبيحة يوم العاشر حينما اصطفّ الجيشان للقتال، كما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام أيضاً لم يقسم عسكر التوحيد إلا صبيحة عاشوراء.

وقد اختلفت المصادر في بيان تقسيم أفراد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المصادر التي لم تذكر التقسيم

نقلت جملة المصادر القديمة أحداث القصر دون الإشارة إلى أي تقسيم.

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:

«وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا معه يريدون عبید الله بن زياد، فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق، انسل عنه منهم ناس» (١) ...

وقال البلاذري في أنساب الأشراف:

«... فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس كثير. قال حصين: فحدّثني هلال بن إساف قال: ثمّ إنهم (لقد) تفرّقوا عنه، فلما قلت الأصوات، فقبل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر فرفعت جرادي فيها النار حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلا قدر خمسين» (٢) ...

وقال ابن سعد في الطبقات:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمئة من

(١) الإمامة والسياسة: ٢ / ٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤.

الشيعة! فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً. فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة» (١) ...

وقال اليعقوبي:

«... ووجه [أي ابن زياد] بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه» (٢) ...

وقال ابن أعمش في الفتوح:

«وأقبل مسلم بن عقيل ﷺ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح» (٣) ...

وقال المسعودي في مروج الذهب:

«ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهائي، أمر منادياً فنادى: "يا منصور" وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه» (٤) ...

(١) الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

(٣) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٤٩.

(٤) مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

وقال الطبري في إحدى رواياته:

«ثمَّ ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق» (١) ...

وكذا لم يذكر التقسيم العسكري للجيش كل من:

ابن شهر آشوب في المناقب، والسيد ابن طاووس في اللهوف (٢)، وابن حجر في الإصابة، وابن الجوزي في المنتظم، والمقرئ في إمتاع الأسماع، وغيرهم.

القسم الثاني: المصادر التي ذكرت التقسيم وفق التشكيلة الاجتماعية (التقسيم المدني)

ذكرت هذه المصادر التقسيم المدني المتعارف عليه يومذاك، وهو تقسيم معمول به دائماً سواء في حالة الحرب أو السلم، لأنه أقرب إلى التقسيم الاجتماعي والإداري منه إلى التقسيم العسكري. ولا تقارن مصادر هذا القسم بمصادر القسم الأول كما ووزناً.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٧، اللهوف: ٤٧، المنتظم: ٥ / ٣٢٦، إمتاع الأسماع: ٥ / ٣٦٣.

فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال، وابن الأثير في الكامل:

«ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هاني بن عروه نادى فيمن كان
بإيعه، فاجتمعوا.

فعقد لعبد الرحمن بن كريز الكندي على كندة وربيعة.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد.

وعقد لأبي ثمامة الصيداوي على تميم وهمدان.

وعقد للعبّاس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار.

فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتّبعهم هو في بقية
الناس» (١) ..

وروى الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد، قال:

«فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد
وتميم وهمدان» ..

القسم الثالث: ذكر التقسيم العسكري

ورد التقسيم العسكري في تاريخ الطبري، على شكلين:

الشكل الأول: ميمنة وميسرة ومقدّمة وقلب

صرّح الطبري بتشكيلة على غرار التشكيلات العسكريّة المعهودة

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

مقسمة على الميمنة والميسرة والمقدمة والقلب، غير أنه ذكرها باقتضاب ولم يذكر الأسماء.

قال في رواية الدهني الطويلة:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدمته، وعي ميمنته وميسرته، وسار في القلب الى عبيد الله» (١) ..

الشكل الثاني: المزج بين التشكيلتين

ذكر الطبري تشكيلة أخرى مزج فيها بين التشكيلة المدنيّة والتشكيلة العسكريّة، حيث قسّمهم إلى خيالة ورجالة، وأمر عليهم حسب الأرباع.

روى الطبري في التاريخ وأبو الفرج في المقاتل:

«.. فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكنديّ على ربع كندة وربيعة، وقال: سرّأمني في الخيل. ثمّ عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم. وعقد لأبي ثمامة الصائديّ على ربع تميم وهمدان.

وعقد لعبّاس بن جعدة الجدليّ على ربع المدينة، ثمّ أقبل نحو القصر» (١) ..

تقسيم غريب:

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

«وسمع مسلم بن عقيل الخبر، فركب ونادى بشعاره: "يا منصور أمت"، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل ابن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله» ...

يلاحظ التقسيم العسكريّ بالميمنة والميسرة والقلب رغم ما في الخبر من غرابة ..

النتيجة:

تبين ممّا مرّ أنّ المصدر الأوّل - حسب فحصنا - الذي ذكر التقسيم العسكريّ لجيش مواجهة يسطّف للقتال إنّما هو الطبري، في إحدى روايته، أمّا روايته الثانية فهي مزيج من التقسيمين.

أما المصادر التي سبقت الطبري وذكرت التقسيم، فهي إنما ذكرته وفق التشكيلة المدنية، وقد سبق في ذلك الدينوري في الأخبار الطوال.

أما باقي المصادر فهي لم تذكر تقسيماً من رأس.

فإذا افترضنا أن من جاء بعد الطبري إنما أخذ عنه روايته المجملة، كما هو ظاهر الحال، يلزم أن يكون الطبري قد تفرد بخبر التقسيم العسكري عند اصطفاف الجيوش، باليمين والميسرة والقلب.

وإذا اعتمدنا غير الطبري، نرى أغلب المؤرخين الذين ذكرناهم لا يصورون المشهد ضمن إطار اصطفاف الجيوش وتقابل العساكر، بل حتى الدينوري والشيخ المفيد عليه السلام أيضاً لم يرسموا لنا صورة جيش نظامي ينضوي أفراداً تحت قطعات تمثل عسكر المواجهة بالمعنى الكلاسيكي المتعارف عليه يومذاك، كتقسيم القلب والجناحين..

وحينئذٍ تتخرق الصورة التي رسمها لنا الطبري، ويتحول الجمع الملبّي للنداء إلى مزيج متراكم، وزبد متدافع يطفح بعضه فوق بعض، لا يميز فيه المقاتل عن المتفرج، والمدفع للقتال عن المتدافع لركوب الموجة، والخارج ملتبساً للنداء عن الخارج للالتحاق بعسكر الضلال، ولا الميم وجهه للمسجد لنصرة الحق عن اللاهث إلى قصر الخبال خوفاً من تهديد ابن الأمة الفاجرة... سيما أن النداء وتكدس الأفراد مؤمنهم ومنافقهم قد تمّ في أقل من يوم أو بعض يوم.

تعبة العسكر

كيف كان! فإئنا سنتابع السياق المشهور، ونفترض أنّ ثمة عسكرياً قد تعباً وتقسّم، لنرى ورود نوعين من التعبّة في مصدرين سابقين:

النوع الأوّل: تعبّة الدينوري

كان المجتمع الكوفي يومذاك مقسّماً وفق التشكيلة العشائريّة والقبليّة، وكان هذا التقسيم يعتمد على الوالي في توزيع العطاء ومتابعة الأفراد وملاحقتهم.

ويعدّ هذا التقسيم أيضاً الأساس الذي تقوم عليه التعبّة العسكريّة، فمن خلال العرفاء والزعماء القبليّين يدعو الوالي أفرادهم للالتحاق بالثغر المقصود.

فلا يعدّ هذا التقسيم تقسيماً عسكرياً بالمعنى الاصطلاحيّ المعهود

تلك الأيام، فهم يخرجون من خلال التعبئة العشائرية، ثم يقسمون إلى ميمنة وميسرة وقلب قبل أن تقوم الحرب على ساق.

وقد نصّ الدينوري على هذا النمط من التقسيم، فجاءت التعبئة على الشكل التالي:

القائد الأول: عبد الرحمن بن كريز الكندي على كندة، وربيعة.

القائد الثاني: مسلم بن عوسجة على مذحج، وأسد.

القائد الثالث: أبو ثمامة الصيداوي على تميم، وهمدان.

القائد الرابع: عباس بن جعدة بن هبيرة على قريش، والأنصار.

وأجمل الشيخ المفيد رحمته الله ذلك بقوله: «فَعَقَدَ مُسْلِمٌ لِرُؤُوسِ الْأَرْبَاعِ عَلَى الْقَبَائِلِ كَنْدَةَ وَمَذْحِجَ وَأَسَدَ وَتَمِيمَ وَهَمْدَانَ».

النوع الثاني: تعبئة الطبري

وهي التعبئة العسكرية المعروفة يومذاك، وقد جاءت مجملة في إحدى روايته إذ قال:

«فَقَدَّمَ مَقْدَمَتَهُ، وَعَيَّى مِيمَتَهُ وَمَيْسَرَتَهُ، وَسَارَ فِي الْقَلْبِ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ...».

وفي روايته الثانية مزج بين التبعثتين: «الخيل والرجال والأرباع» بالصورة التالية:

القائد الأول: عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكنديّ على كندة، وربيعه، في الخيل.

القائد الثاني: مسلم بن عوسجة الأسديّ على مذحج، وأسد، في الرجال.

القائد الثالث: أبو ثامة الصائديّ على تميم، همدان.

القائد الرابع: عباس بن جعدة الجدليّ على المدينة.

يلاحظ أنّ التقسيم هو نفس التقسيم الذي ذكره الدينوري غير ما فيه من اختلاف قد يكون تصحيفاً في القائد الأول فهو عند الدينوري: «عبد الرحمن بن كرز الكنديّ»، وعند الطبري: «عبيد الله بن عمرو ابن عزيز الكنديّ».

أو اختلاف في التفصيل والإجمال كقول الدينوري: «قريش، والأنصار» وقول الطبري: «المدينة».

وفي الطبري إضافة قوله: «في الخيل ... في الرجال»، ولولا ذكرهاتين الكلمتين كانت هذه الرواية أيضاً تصنّف في النوع الأول من التعبئة. فلا يبقى إلا رواية الطبري المجلّة التي نصّت على التقسيم الاصطلاحيّ: «ميمنة وميسرة وقلب».

وبناءً على التفصيل المذكور يصعب أن نصوّر للمولى غريب الكوفة جيشاً مقاتلاً معبئاً تعبئة عسكريّة، وموزّعاً ضمن رايات نظاميّة مميّزة.

والحال أنَّ ابن الأَمة الفاجرة كانت قطعاته جاهزة باعتباره جيشاً
نظامياً رابضاً في حالة إنذار تامٍّ في معسكره، وهو رهن الإشارة.
أما الرعاع والزبد الطافح المتناثر في الكوفة، فقد حدّدت له زعامات
أتينا على ذكرها عند الحديث عن قطعات عسكر ابن زياد.

ميدان القتال

يمكن تقسيم الأخبار التي روت لنا توجّه مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بمن أجاب النداء نحو القصر إلى أقسام:

القسم الأول: خروج دون مواجهة

الأخبار التي لم ترو لنا وقوع معركة ومواجهات مسلّحة ^(١)، فهي خارجة عن محلّ بحثنا في هذا الموضوع، إذ لا معركة حتّى نحدّد موقعها.

القسم الثاني: تراشق واحتكاك

الأخبار التي روت حصول تراشق بالنشاب أو بالمدر، فإنّها لا تعدّ معركة وحرباً، وإنّما هونوع تخويف استعمله المشرفون من فوق أسوار

(١) سيأتي الكلام في هذا الموضوع عند الحديث عن مشاهد المعركة.

القصر، لئلا يقترب أحد منهم، وقد ورد هذا التعليل صريحاً في نصّ الخبر:

«فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب،
ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى
أمسوا» (١).

القسم الثالث: وقوع القتال

أما الأخبار التي نصّت على وقوع قتال، فقد اختلفت في تحديد المكان بالضبط والدقة، وإن كانت جميعها تنحصر في مساحة جغرافية محدودة لا تتباعد عن المسجد والقصر.

الموضع الأول: الرحبة

قال ابن سعد في الطبقات:

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمئة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة ثم دخلوا المسجد» (٢).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

الموضع الثاني: أطراف القصر

قال ابن أعثم في الفتوح:

«وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس» (١).

وقال السيّد بالله في اللهوف:

«فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام».

يبدو أنّ الرحبة وأطراف القصر تعبيران عن موضع واحد متقارب، لأنّ رحبة المسجد تمتدّ إلى قصر الإمارة.

الموضع الثالث: المسجد الأعظم

قال الطبري:

«فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولانسمع أصوات كثير أحد،
فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادى فيها النيران، فجعلوا
ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً،
فانطلق كل قوم الى رأس ربعمهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم،
فجرح مسلم جراحه ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا،
فخرج مسلم» (١) ...

وفي هذه الرواية مناقشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الموضع الرابع: مكان تواجد المولى الغريب مسلم عليه السلام

يفيد نصّ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنّ المعركة دارت بين البطل
الهاشمي عليه السلام وبين المردة قرب مقرّ إقامته، وفي الموضع الذي كان يسكن
فيه، وكذا هو مفاد عبارة اليعقوبي في التاريخ، قال ابن قتيبة:
«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما
زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر» (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

(٢) الإمامة والسياسة ابن قتيبة: ٢ / ٩.

جغرافية الأحداث

روى لنا الطبري في أثناء حديثه عن أحداث سنة (١٧) للهجرة، وبيان تفاصيل بناء الكوفة في عهد الملك الثاني صورة لبناء المسجد وقصر سعد الذي بني قصر الإمارة إلى جانبه ومعه، وربما كانت هذه الصورة نافعة في تصوّر المنطقة التي دارت فيها أحداث يوم الشهيد المظلوم مسلم بن عقيل عليه السلام، لأن أحداثها وقعت في منطقة المسجد والقصر والرحبة.

روى الطبري عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة والمهلب وعمر وسعيد، قالوا:

«لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد الى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأثرقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة.

فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتّى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه، فأول شيء خطّ الكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتّمارين من السوق، فاخططوه، ثمّ قام رجل في وسطه، رام شديد

النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبنى وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبنى وراء موقع السهمين.

فترك المسجد في مربعة غلوة من كل جوانبه، وبني ظلة في مقدمه، ليست لها محنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا» (١) ...

معنى الغلوة ورمية السهم:

قال الفراهيدي في العين:

«المغالي بالسهم: الرافع يده يريد به أقصى الغاية، وكل مرماة منه غلوة.

والمغلاة: سهم يتخذ لمغلاة الغلوة، ويقال: المغلى بلاهاء في لغة ... والفرسخ التام: خمس وعشرون غلوة».

وقال الطريحي في مجمع البحرين:

«الغلوة - وهي بالفتح - مقدار رمية سهم.

وعن الليث: الفرسخ التام خمس وعشرون غلوة.

وعن أبي شجاع في خراجه: الغلوة قدر ثلاث مائة ذراع إلى

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

أربعمائة»..

فإذا كان الفرسخ خمسة آلاف متر (٥ كم) والذراع نصف متر يكون التقديران متفقان على أن الغلوة تكون مائتي متر تقريباً بحسابنا اليوم.

«٥٠٠٠ م تقسيم ٢٥ م = ٢٠٠ م»،

وكذلك «٤٠٠ ذراع تقسيم ٢ = ٢٠٠».

عودة إلى رواية الطبري:

قال الطبري:

«وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمة.

وكانت ظلّته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسره، سماؤها كاسمية الكنائس الروميّة، وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يفتحهم أحد بينان.

وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من أجربنيان الأكاسرة بالحيرة، ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج، وفي شرقيّه ثلاثة مناهج، وفي غربيّه ثلاثة مناهج، وعلمها.

فأنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً ممّا يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرهم وتغلب، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق، وأنزل في شرقيّ الصحن الأنصار، ومزينة على طريق، وتيمّا ومحارباً على طريق، وأسداً وعامراً على طريق، وأنزل في غربيّ الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجديلة وأخلاطاً على طريق، وجهينة وأخلاطاً على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك، ومن وراء ذلك، واقتسمت على السهمان.

فهذه مناهجها العظمى، وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثمّ تلاقيها، وأخرتبعها، وهي دونها في الذرع، والمحالّ من ورائها، وفيما بينها، جعل هذه الطرقات من وراء الصحن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيّام والقوادس، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتّى يوافوا إليها.

فلَمّا ردفتم الروادف، البدء والثناء، وكثروا عليهم، ضيق الناس المحالّ، فمن كانت رادفته كثيره شخص إليهم وترك محلّته، ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى

رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم، وإلا وسعوا على روادفهم
وضيقوا على أنفسهم.

فكان الصحن على حاله زمان عمر كله، لا تطمع فيه القبائل،
ليس فيه إلا المسجد والقصر، والأسواق في غير بنيان ولا
أعلام ...

وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصرًا بحيال محراب
مسجد الكوفة اليوم، فشيدته، وجعل فيه بيت المال، وسكن
ناحيته، ثم إن بيت المال نقب عليه نقبًا، وأخذ من المال ...

فقال له دهقان من أهل همدان، يقال له روزبه بن بزرجهز: أنا
أبنيه لك، وأبني لك قصرًا فأصلهما، ويكون بنيانًا واحدًا،
فخط قصر الكوفة على ما خط عليه، ثم أنشاه من نقض آجر
قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم، ولم
يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى
القصر، يمتد على القبلة، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع
رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام، والرحبة قبلته، ثم مد به،
فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر، وكان بنيانه
على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات،
فلم يزل على ذلك حتى بنى زمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه

اليوم؁ على يدي زياد.

ولما أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بني الجاهلية؁ فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهى من طوله في السماء؁ وقال: أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته!

فقال له بناء قد كان بني لكسرى: لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز؁ تنقر ثم تثقب؁ ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد؁ فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء؁ ثم تسقفه؁ وتجعل له مجنبات ومواخير؁ فيكون أثبت له.

فقال: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبّرها؁ وغلق باب القصر» (١) ..

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

وقت التّجَمُّع والقتال

يبدو من خلال التأمّل في النصوص الواردة أنّ التّجَمُّع عند المسجد بلغ الذروة بعد العصر، أمّا وقت القتال، فهو عند المغرب أو بعده، ولا حاجة لتكرار النصوص هنا، ونكتفي بذكر ما قاله ابن سعد في الطبقات: «وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمئة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة» (١)..

تخذيل الناس عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

التخذيل هو ترك النصرة والإعانة والتجبين عن القتال، وتخويف ملاقات الأبطال (١).

وهو ركن مهم من أركان الحرب، قديماً وحديثاً، بل ربما أثر في الحرب أثراً يؤدي إلى وقوع الهزيمة قبل قيام الحرب أو اصطفاف العساكر. وللتخذيل وسائل وأدوات وأساليب كثيرة قد تدخل تحت عناوين كبيرة من قبيل الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والتطميع والتخويف وما شاكل، سنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى.

لفتة مهمّة

لقد عهدنا في الحروب والتجمّعات المتعارضة والتيارات المتصادمة،

(١) انظر: لسان العرب ومجمع البحرين مادة «خذل».

حملات من الحِصَّ والتخذيّل، خطب حماسيّة تلقى من هذا الطرف ومن ذاك، وخطباء مصقعين وشعراء مبدعين يهزّون المشاعر ويستجيشون الأحاسيس ويثوّرون العواطف ويذكّرون الجموع في كلا الجبهتين بالمفاخر والأعجاب، ويرغبونهم بالتناجج والعواقب الوخيمة للهزيمة والمغانم الجزيلة في الظفر والغلبة ...

هذه الظاهرة مشهورة معروفة وكانت منتشرة في تلك الأعصار، ولولا بناؤنا هنا على الاختصار لأطلنا الكلام في ذكر الشواهد الكثيرة من وقائع النبي صلى الله عليه وآله وحروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويوم سيّد الشهداء الحسين عليه السلام في الطّف.

غير أنّ من يقرأ التاريخ في هذه الفترة من الزمن يجد الخطباء والمخدّلين في جبهة ابن الأمة الفاجرة كثيرين، وليس مع المولى الغريب عليه السلام أسد يزار، ولا حتّى غراب ينعب، لا صاحب راية يحرض على القتال، ولا مؤمن صالح يحذّر عن مغبة الغدر والانتكاس والارتكاس، أبداً، لا يسمع لهم حسيساً ولا نجوى؟! ولا صريخاً ولا شكوى؟!

لا تحريض ولا تأييد ولا شدّ للعزائم ولوبين أربعة رجال كانوا في صفّ الحقّ يومئذٍ، لم ينقل لنا التاريخ شيئاً يذكر.

بل لم يتحدّث لنا التاريخ - حسب فحوصنا - عن أيّ كلام أو أيّ

خطاب، أو أيّ مقال ينسب للمولى الغريب ؑ مخاطباً الثابتين معه أو المنهزمين عنه!

وربما نهض هذا إلى مستوى الشاهد أو الأقوى من الشاهد على أنّ ليس ثمة حرب بالمعنى المصطلح وقعت من جهة المولى الغريب ؑ وأنصاره.

متى بدأ التخذيل؟

لقد روى لنا التاريخ ممارسات التخذيل التي باشر بها عبيد القروء وأذنا به بيد أنّ هذا التخذيل ربما يعدّ مؤثراً حينما يلاحظ بتراكماته وأسبابه الممتدة عبر الزمان والمكان وجذوره المتوغلة في التاريخ والجغرافيا، كما سيّضح لنا من خلال تقسيم فترات التخذيل إلى فترتين:

الفترة الأولى: طويلة الأمد

قد لا يكون التهديد والوعد والوعيد مؤثراً أثراً بليغاً سريعاً فاعلاً صاعقاً يصرع الرجال ويفتّ في عضد الصناديد والأبطال، بل حتّى لو كان المستهدف من عرض الناس، إذا كان وليد الساعة، ولم يكن مسبوقاً بتأكيدات قد جرّبها المهّدّدون من قبل.

أما إذا كان التهديد والوعد والوعيد قد جرّبه الناس وذاقوا مرارته واكتووا بناره، فإنه قد يؤثر في النفوس الضعيفة من ذوي الطباع الجبانة الذين أخلدوا إلى ثقل الطين واستحوذ عليهم حب الدنيا، وباعوا آخرتهم بالحظّ الأحقر والنصيب الأدنى..

ومن البديهيّ للناظر في مجريات الأحداث التاريخيّة أن يتعرّف بسهولة إلى الأجواء التي كانت تخيم على المجتمع الكوفيّ يومذاك، وأن ينظر بوضوح إلى دخائل الصدور الوغرة التي ربّتها السقيفة على نمط خاص من الاستجابة للتهديد والوعد والوعيد.

وقد تأثرت تلك النفوس منذ العصر الأوّل على الاستسلام لحكم الطاغوت بكلّ تبعاته، والخلود إلى الدنيا تحت ضغوط من لبسوا الدين لبس الفرو مقلوباً^(١)..

والجيل المتقلّب بين ضفاف الفرات والمسجد الأعظم لم يكن متباعداً عن السقيفة وآثارها وطريقة عملها، وأساليب التخذيّل التي اتخذتها لتخذيّل الناس عن أهل بيت النبوة، والوسائل القذرة التي وظّفتها لإبعاد الإنسان - المنكوس - عن الصراط المستقيم والدين القويم وأمير المؤمنين وذريّته المعصومين عليهم السلام.

(١) انظر: نهج البلاغة: ١٥٧ خ ١٠٨.

ونحن لا نريد ذكر النصوص والدخول في تفاصيل هذا البحث، لأنّ التفصيل خارج عن موضوع الكتاب، وقد ألف العلماء جزاهم الله خيراً أسفاراً وموسوعات استوعبت الحدث بكلّ جزئياته، ويحسن لمن أحبّ الزيادة مراجعتها (١) ...

فمنذ اللحظة الأولى لإعلان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بدأ التخذيل عن آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ اشتدّ جهاراً ونهاراً، وصار عملاً يمارس وفق الضوابط والأهداف المرسومة له منذ الساعات الرهيبة التي أعقبت شهادة النبي صلى الله عليه وآله.

واتّخذ طابع القسوة والوحشية يوم جمعوا الناس على باب بيت الوحي، وانتهكوا حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله على مرأى ومسمع من الناس لئلاّ يُحدّث أحدٌ أنّ له حرمةً بعد حرمة الله ورسوله وآل بيت رسوله صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

وهكذا تمادى القوم في التخذيل حتّى بلغ الذروة في ملك معاوية الذي قتل أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم وشيعتهم على الظنّة والتهمة وهدم دورهم وتعقّبهم تحت كلّ حجر ومدر في الكوفة نفسها، واستعر السلطان وكلاب السلطان في الأيام التي نسج فيها البيعة لنغله يزيد ...

(١) انظر: كتاب سليم، والغدير للعلامة الأميني، وغيرهما..

وكانت جرعات التهديد والوعد والوعيد مستمرة منذ أمد بعيد يذيقونها الناس والغوغاء وأتباع الظلمة والعوام، وقد تجذرت في وجوداتهم الخاوية، مما سهّل على الجرو الأمويّ ابن زياد مهمّة إقناع الناس بتهديداته وبثّ الرعب والخوف في قلوبهم المنخورة تأثراً بكلماته.

بهذا نعرف أنّ التخذيل عن سيّد الشهداء وسفيره عليه السلام بدأ أساساً منذ العصر الأوّل، وكان تخذيل يزيد المجون والخمور والفسق والفجور وأذنا به من أمثال ابن الأمة الفاجرة ابن زياد امتداداً لتخذيل المؤسّسين والحاملين لهم على أكتاف آل محمّد صلّى الله عليه وآله.

الفترة الثانية: الآنية

إنّ هذه الأمة المنكوسة قد أعرضت عن آخرتها، وأدبرت عن جدّها، وانقلبت على نفسها وتقهقرت عن دينها منذ الساعة الأولى لقيام سيّد الشهداء عليه السلام فخذلته وضيعته.

قال ابن الأعمش في الفتوح:

«وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر

جدّه صلّى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرحك

وابن فرختك وسبطك في الخلف (١) الذي خلفت على أمتك
فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، وأنهم لم
يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك، صلى الله عليك
وسلم.

ثم وثب قائماً وصف قدميه ولم يزل راکعاً وساجداً» (٢).
وفي كلام سيد الشهداء عليه السلام هذا إشارة واضحة أنّ الناس قد خذلوه
وهو في المدينة قبل خروجه إلى مكة.

تخذيل يزيد - لعنه الله :-

إنّ القرد العجوز معاوية بن هند قد بدأ حملات التخذيل عن سيد
الشهداء عليه السلام قبل أن يأخذ الناس بالبيعة لنغله يزيد، كما لا يخفى على
المتصفح لأوراق التاريخ.

كما بدأ القرد المسعور يزيد مذ تسلق أغصان الشجرة الملعونة ونزى
على المنبر بالتهديد والوعيد وتخويف الناس، إذ أمر بقتل أعظم الخلق
وأعزهم وأكبرهم وصاحب القدس النبوي والخلافة الحقة، فهل تبقى
لمن دونه - وكلّ الخلق دونه لا شك - قداسة أو حرمة؟!

(١) وفي نسخة: «الخلق».

(٢) الفتوح: ٥ / ١٨.

وهذا ما يدركه الناس يومئذٍ، وقد فعله من قبله أسلافه الذي مكنوه من رقاب الناس يوم هتكوا حرمة النبي صلى الله عليه وآله وهجموا على آله في دارهم وأحرقوه عليهم.

روى ابن الأعمش في الفتوح كتاب يزيد إلى الوليد قال فيه:

«من عبد الله! يزيد أمير المؤمنين! إلى الوليد بن عتبة، أما بعد:

فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير، فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعتة الخيل ولك عندي المجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام» (١) ...

وقال في موضع آخر:

«ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة:

أما بعد، فخذ الحسين بن علي و.. أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه» (٢) ...

(١) الفتوح: ٥ / ١٨.

(٢) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ١٠.

هذا من جانب سيّد الشهداء عليه السلام ..

أما من جانب الطاغية والأقذار المتدلّية من ذنبه، فقد كتب إلى ابن زياد:

«إنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت أنت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترقّ العبيد وتعبّد، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه» (١) ...

هذا هو منطق التخويف والوعيد مع ولائهم والمقربين منهم، ومخالبتهم ووحوشهم التي يريدون إطلاقها على أعدائهم، فما حال الناس عندهم، فعندئذٍ سيدرك الناس تماماً ما يقوله الطاغية يزيد البطّاش الأرعن في كتابه إلى ابن زياد إذ كتب إليه:

«... قد بلغني أنّ الحسين قد توجّه إلى نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظنّة وخذ على التهمة» ...

نكتفي بذكر هذين المثالين في التهديد والتعامل الوحشيّ - إذ هما يذكران النموذج الأبرز في جانب من يعتبره القرد المخمور من الأعداء

(١) البداية والنهاية: ٨ / ١٩٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ٥ / ١٠.

ومن يعتبره من أذنبه، والتفصيل ليس هذا موضعه.

تخذيل الجرو المسعور ابن زياد - لعنه الله :-

مارس ابن زياد عمليات التخذيل ميدانياً على مستويين:

المستوى الأول: ممارساته الشخصية

قام عبّيد القروذ ابن زياد بمحاصرة الكوفة ونظم الصحراء بالخييل والرجال، ونشر العسكر والشرطة في أرجاء الكوفة، وبأشر عمليات اعتقال الشيعة.

وأمر شياطينه أن يأخذوا الناس بالظنّة والتهمة، والفرق بين هذا العنوان وعنوان اعتقال الشيعة أنّ الأخذ هنا يشمل أيّ من يتعاطف مع سيّد الشهداء وسفيره عليه السلام، وإن لم يكن شيعياً، بل قد لا يعرف بالتعاطف أيضاً غير أنّه يتصرّف تصرّفاً يّتهم من خلاله فيؤخذ..

ومارس التخذيل مباشرة من خلال خطاباتهِ وتهديداته، والمجتمع الكوفي يعرف الوحش المجرم ابن زياد ويعرف أباه زياد ابن أبيه الذي سَمَل عيونهم وسَقَرهم وأخرجهم من ديارهم، وغير ذلك ممّا سيأتي في وسائل التخذيل.

ويمكن تقسيم مباشرته التخذيل إلى موقعين من حيث الفترات الزمنية:

الموقع الأول: أوّل ما دخل الكوفة:

يلاحظ أنّ ابن الأئمة الفاجرة باشر التخاذيل منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها الكوفة، غير أنّه كان محاطاً بحرسه وعسكره قبل أن يختلط الوضع.

ويمكن أن يلاحظ ذلك في خطابه:

الخطاب الأوّل: رواية الدينوري

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

«فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه، وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم، ونودي في الناس، فاجتمعوا، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولّاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدة على عاصيكم ومريبكم، وأنا منتّه في ذلك إلى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق، ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يبقينّ أحد منكم إلّا على نفسه.

ثمّ نزل، وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام.

وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على

نفسه» (١) ...

وقد تضمّن هذا النصّ وعداً ووعيداً وترغيباً وتخويفاً بأمر القرد الأمويّ يزيد ويكفيهم قوله:

«ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يقيّن أحد منكم إلّا على

نفسه»..

وأما قوله: «وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه» فإنّا نأبى ذلك لمولانا البطل الهاشميّ وسليل أبي طالب عليه السلام أن يخاف من خطبة لابن الأمة الفاجرة، ويأتي مناقشة ذلك في محله إن شاء الله (٢)، غير أنّنا ذكرناه هنا لإفادته أنّ خطبة الجرو المسعود ابن زياد كان فيها وعيداً وتهديداً، ليس إلّا.. أمّا أن يخاف من وعيده بطل هاشم وفخر عدنان مسلم بن عقيل عليه السلام فهذا ما لا يرضاه عاقل.

أجل، قد يكون تغير الحاكم وتجدّد الأوضاع جعل المولى الفقيه العالم الخبير يغيّر مكانه لمصلحة يعرفها، كالدواعي الأمنيّة، وليبقى هو المتسلّط

(١) الأخبار الطوال: ٢٣٣ - ٢٣٢.

(٢) ناقشنا هذه العبارة البائسة عند الحديث عن وقائع دخول البطل الهاشمي إلى الكوفة.

المسيطر على زمام الأمور ويتحكم في المبادرات ويختار الموقع الأفضل ليفرض سطوته على العدو وغيرها من الدواعي التي يوظفها القائد الخبير لتوفير وسائل الظفر، فهذا مقبول، وقد أتينا على تفصيل ذلك في وقائع دخول المولى الغريب إلى الكوفة.

الخطاب الثاني: رواية الطبري

«وأصبح - ابن زياد - فجلس على المنبر فقال:
أيها الناس، إنّي لأعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من
هو عدوّ للحسين - حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد
وغلب عليه -، والله ما عرفت منكم أحداً.
ثمّ نزل وأخبر أنّ مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة، وأتته بناحية
الكوفة» (١) ..

وفي تجارب الأمم لمسكويه:

«وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة:
إنّي أعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدوّ
للسين، حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد، وغلب عليه،
ووالله، ما عرفت منكم أحداً» (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٠.

(٢) تجارب الأمم: ٢ / ٤٣.

سواء كان المخاطب هم «الناس» في عبارة الطبري، أو «وجوه أهل الكوفة!!» كما في عبارة مسكويه، فإنّ في النصّ غموض وشيء من الارتباك على ما يبدو للوهلة الأولى، ويحتمل أن يكون المراد إحدى المعاني التالية:

المعنى الأول:

يقول لهم: إنّي لا أعلم في الناس إلّا أحد فردين، إمّا أن يكون معي فهو عدوّ للحسين عليه السلام، وإمّا أن لا يكون معي، فأنا أنكره ولا أعرفه، فهو عدوّي، ومن كان عدوّاً للدعيّ ابن زياد فالقتل والتنكيل مآله.

المعنى الثاني:

يقول: إنّي أعلم أنّ من يكون معي فهو عدوّ للحسين عليه السلام، وأنا لا أعرف أحداً منكم يظهر العداوة للحسين عليه السلام.
فمن سار معي وأظهر الطاعة، فإنّي أعلمه عدوّاً للحسين عليه السلام، أمّا أنتم «فوالله ما عرفت منكم أحداً»، أي أنكم لا تسيرون معي ولا تظهرون الطاعة لي، فأنتم لستم أعداءً للحسين عليه السلام، وفي هذا من التهديد والوعيد ما يكفي لإرعاب تلك القلوب الخاوية، والطباع الخسيسة.

المعنى الثالث:

«عُرِفَتْ» أي لم يذكر لي أحد أنكم على الصفة التي أريد من عداوتكم للحسين عليه السلام، ويرجع المعنى للمعنى الثاني حينئذٍ.

المعنى الرابع:

أن نقرأها بالتشديد وفتح الراء: «عُرِفَتْ»، أي لم أجعل أحداً منكم عريفاً، سيّما إذا كان الخطاب مع من يسمّونهم بالوجهاء.

فهو يقول لهم: إنكم ما دمتم لستم على الصفة التي أريد من عداوة سيّد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام فإنّي لا أعرف فيكم عريفاً، بعبارة تشمل الماضي والمستقبل، فمن كان منكم عريفاً عزلته عن العرافة، ومن كان يطمع فيها للمستقبل فسوف لن يكون.

وعلى كلّ تقدير فإنّ كلماته خرجت مخرج التهديد الشديد، والإرعاب والحرب النفسيّة العنيفة.

الموقع الثاني: أثناء الحصار:

مارس الخبيث التخذيل أثناء الحصار غير أنّ جنبه المتأصل فيه ظهر هنا كما يظهر في كلّ موقف يحتاج فيه الحاكم إلى شيء يسير من الشجاعة، فاستخدم فيه أذنبه وأفراده، كما سيأتي إن شاء الله، ولم يباشر هو بنفسه أيّ مستوى من مستويات التخذيل، إلّا إذا كان يُبقي عليه داخل أسوار القصر وبين حمايته وحرسه.

المستوى الثاني: ممارساته من خلال الآخرين

استخدم ابن زياد أذنا به السفلة الذين يسمّهم التاريخ: «الأشراف» و«الوجهاء» في تنفيذ عمليّات التخذيّل والحرب النفسيّة مع المجموع المتكدّسة في الكوفة، فباشروا مخاطبة الناس، ورفعوا لهم رايات الأمان، وغير ذلك ممّا يأتي في وسائل التخذيّل.

المخذّلون

وفق ما تقدّم من تقسيم لفترات التخذيل، فإنّ المخذّلين كُثِرَ يطول بنا المقام إذا أردنا إحصاءهم فرداً فرداً منذ يوم الغدير وما قبله، والسقيفة وما بعدها، لذا سنقتصر في تعداد أسماء من ساهم مباشرة في الكوفة أيام المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وهم:

يزيد بن معاوية لعنهما الله

عبيد الله بن زياد لعنهما الله

محمّد بن الأشعث لعنهما الله

شُبث بن ربعي لعنه الله

القعقاع بن شور لعنه الله

محمّد بن شهاب لعنه الله

شمر بن ذي الجوشن لعنه الله

حجّار بن أبجر لعنه الله

العوائل والأسر

هذه الأسماء الأصليّة التي مارست التخذيل مباشرة، ولا يمتنع أن يكون كلّ واحد من هؤلاء قد سخر جماعة أو جماعات ووظّف أفراداً لتحقيق غرضه، أضف إليهم جيوش الغوغاء التي تمارس التخذيل من حيث تدري ولا تدري، ومن حيث تقصد ولا تقصد، بل من حيث تشعر ولا تشعر، من خلال التخاذل والتراجع ونشر الشائعات كانتشار النار في الهشيم في يوم عاصف، ومن خلال التهويل والتضخيم والانهمزام والمبالغة بالكذب وخلق الأحداث والحوادث..

وسائل التخذيؓ وموادّ

نستعرض هنا وسائل التخذيؓ وموادّ التي استخدمت يومذاك استعراضاً سريعاً؁ ونشير إليها مفهرسة باقتضاب يناسب الكتاب؁ وهي نماذج لا نقصد بها الحصر والشمول؁ ولانريد استقصاء المصادر التي توفّرت لدينا؁ وكلّ ما تضمّنته؁ وللقارئ أن يتأمّل النصوص إذا أحبّ الاستقراء.

* * * * *

تنقسم الوسائل إلى قسمين أساسيين:

التهديد والوعيد

اتّحاد خطاب التخذيؓ

يلاحظ أنّ الذين باشروا التخذيؓ لم يكن عملهم ارتجالياً يتصرّف

كَلَّ مِنْهُمْ حَسَبَ مَا يَرَاهُ مِنْ خُطَابٍ، وَإِنَّمَا كَانَ هُنَاكَ خُطَابٌ مَرْكَزِيٌّ
يَسْتَعْمَلُهُ الْجَمِيعُ:

فَفِي الْأَخْبَارِ الطُّوَالُ:

«وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ
الْكُوفَةِ: لِيُشْرِفَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فِي نَاحِيَةِ مِنَ السُّورِ، فَخَوْفُوا
الْقَوْمَ.

فَأَشْرَفَ كَثِيرٌ مِنْ شُهَابٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ
شُورٍ، وَشُبَّانُ بْنُ رَبِيعٍ، وَحَجَّارُ بْنُ أَبِي جَرٍّ، وَشُرْبَنُ بْنُ
الْجَوْشَنِ، فَتَنَادَوْا:

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْفِتْنَةَ، وَلَا تَشْقُوا عَصَا
هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا تُورِدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ خِيُولَ الشَّامِ، فَقَدْ
ذَقْتُمُوهُمْ، وَجَرَّبْتُمْ شُوكَتَهُمْ».

قلب المفاهيم وتبديل القيم

رَوَى الْبَلَاذُرِيُّ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ قَوْلَ الْمُخَذَّلِينَ:

«اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَعْجِلُوا الْفِتْنَةَ، وَلَا تَشْقُوا عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وَرَوَى الشَّيْخُ الْمُفِيدُ رحمته الله فِي الْإِرْشَادِ قَالَ:

«وَتَكَلَّمَ كَثِيرٌ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَجِبَ، فَقَالَ:

أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ..

وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك».

إنّ تقوى الله في نصرة الحقّ والدفاع عن ریحانة النبي ﷺ وسيد شباب أهل الجنة ﷺ، ورعاية الحقوق، والوفاء بالعهد، ومحاربة الظلم، وردّ المبطلين والمنتهلين.

والفتنة في مجانبة الحقّ والركون إلى الذين ظلموا.

وشقّ عصا المسلمين في ترك التمسك بعدل القرآن، وعدم الاعتصام بحبل الله الممدود بين السماء والأرض.

غير أنّ الطغاة أثبتوا الألفاظ وقرّروا المصطلحات، وقلّبوا معناها حتّى «لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً» (١).

فصوّروا نصرة سفير الحسين ﷺ ومبعوث المفترض الطاعة من السماء «شرّاً» و«حرباً» ببعدها السلبيّ الذي يجزّ الويلات ويدع الديار بلاقع «غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ انصرف فيذهب به فيصرفه»..

نصرة سيّد شباب أهل الجنة والوفاء بالوعد والميثاق والعهد حرب وشرّ؟! الله أكبر!

وروى الطبري في تاريخه:

«أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا» ...

وفي الفتوح لابن أعثم في خطبة الدعي بعد اعتقال هاني:

«يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد صلّى الله عليه وآله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا» ...

أرأيت كيف تحوّلت طاعة أبناء البغايا الرخيصات وذوات الأعلام الذفرات، ودباغات الأدم النتنات وآكلات القمل إلى اعتصام بطاعة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله.

وتحوّل العهر الأمويّ إلى عاصم يعتصم به الناس!!

وتحوّل أبناء آكلة الأكباد وأبناء مرجانة وسميّة إلى أئمة!!

صار الفاسق الفاجر الماجن الخليع اللاعب بالقرود ومسابق الحمام الذي ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة^(١)، والساقط الدنيّ السافل وما تعلّق من أقدار في ذيله، صاروا أئمة!!

وصاروا يكذبون على الطهر الطاهر الذي لم تنجسه الجاهليّة بأنجاسها

(١) انظر: الطبقات لابن سعد: ٥ / ٦٦، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٧ / ٤٢٩.

ولم تلبسه من مدلهّمات ثيابها، ابن الزهراء البتول سيّدة النساء ﷺ،
وريحانة النبي ﷺ أشرف الخلق وسيّد المرسلين والأنبياء، وقرّة عين أمير
المؤمنين وسيّد الأوصياء ﷺ، وخامس أصحاب الكساء الذين أذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وافترض طاعتهم على الخلق أجمعين
وجعلهم أئمة هادين مهديين..

قلبوا الحقيقة رأساً على عقب، فخاطبوا الناس وجعلوا طاعة الله في
طاعة أعدائه، وتمسّك الناس بشراذم الخلق وطاعة أئمة الضلالة
والدعاة إلى النار توحيداً للصفّ وابتعاداً عن الفرقة!!!

وقد قالت أمّ المؤمنين (١) الزهراء فاطمة ﷺ:

«وطاعتنا نظاماً وإمامتنا أمناً من الفرقة..» (٢).

وقس على هذا ما ورد في كلماتهم - لعنهم الله -، ولانريد هنا
استقصاء الحقائق التي شوّهوها وزيفوها والقيم التي قلبوها والموارد التي
حرّفوها، فإنّ ذلك يتطلّب تأليف مجموعة خاصّة تعنى بهذا الغرض،
وقد تجشّم الأعلام عناء جمعها، جزاهم الله خيراً.

(١) انظر: تفسير فرات الكوفي: ٥٨١ ح ٧٤٧.

(٢) بلاغات النساء لابن طيفوز: ٢٨.

التنصّل عن المسؤولية

من العجيب أنهم استعملوا هذا اللون الجبان من الاثكاليّة والتنصّل عن المسؤولية عندما دعاهم المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فكان أحدهم يكتفي أن يأتيه أحد ذويه فيقول له: «انصرف الناس يكفونك»، ليلقي حبله على غارب الآخرين وينصرف مطمئنّ البال لوجود غيره.

وتوازررو حينما دعاهم ابن الأمة الفاجرة لقتال ريحانة النبي صلّى الله عليه وآله وابن أمة الله البتول الطاهرة عليها السلام.. تماماً كما فعلوا من قبل منذ اليوم الأول بعد رحيل النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله حيث اجتمعوا وتوازررو تكاتفوا وتظافروا على نصر الباطل والتجمهر في السقيفة المنكوبة وأعرضوا عن آل النبي وتركوهم يجهّزون الغريب الراحل إلى الرفيق الأعلى وحدهم، وكأنّ المسجّى ليس هو سيدهم وسيّد الخلق أجمعين وأنّ ما يتقاتلون عليه إنّما ترائه!

استعراض القوّة العسكرية

قام ابن الأمة الفاجرة باستعراض عسكريّ ضخم في الكوفة سيّرفيه القطعان في كلّ اتجاه.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال زجّ القطعان التي ذكرناها سابقاً لتدوس جميع الأحياء والأرقة، ونشرقاته في الصحراء، فكانت تملأ

الكوفة ضجيجاً، وأجواءها عجيجاً، وترتفع زعاقاتهم وتصدّ أسمع الناس أصوات الخيل الصاهلة الضابحة غادية رائحة، كما سلّط كلابه الذين يسمّونهم الشرطة على دور الكوفة، وكظموا أفواه السكك وسدّوا مداخل المناهج وموالج الطرقات، وصعد بعض جلاوزته إلى سطح قصر الخبال، وصاروا يرمون الناس بالنشاب والمدر، كما في الأخبار الطوال:

«فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب،
ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى
أمسوا»^(١).

فخلق بذلك جوّاً من الرعب سيطر على أرجاء الكوفة.

الضبط الاجتماعيّ عن طريق العرفاء

كان المجتمع الكوفيّ يومها مضبوطاً بمحدود وضوابط تحصي أهل البلد وتخصر من خلال التقسيم الجغرافيّ والدموغرافيّ، حيث قسّمت الكوفة إلى مناهج وسكك وانتشرت القبائل والعشائر على رقعة جغرافيّة محدّدة لكلّ قبيلة لا تتعدّى المنهج المرسوم لها إلّا بإذن من الحاكم أو من يمثّله كالعريف.

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

فهي مضبوطة باعتبار التقسيم الجغرافي للسكان، كما أنها مضبوطة من خلال التقسيم القبلي والتركيب الاجتماعي، إضافة إلى ضبطها من خلال الاندراج تحت عرافة معلومة تمثل الواسطة بين الناس والحكومة.

فلا يولد مولود إلا ويبلغ عنه العريف وغيره من ذوي المناصب القبليّة والاجتماعيّة، ولا يموت ميت إلا ويبلغ عنه ليمحى من ديوان العطاء ويكون الجهاز الحاكم والجهاز القبليّ على علم به.

والداخل إلى البلد إمّا أن يكون منتمياً إلى قبيلة أو أهل بيت معروفين، أو لا، فإن كان غريباً لابدّ أن ينزل على عرافة بعينها أو قبيلة أو أهل بيت معروفين في البلد، فيكون في ضيافتهم وجوارهم حتّى يرحل، ويبلغ العريف بوجوده ما دام مقيماً عندهم.

أو ينزل في الموضع المخصّص للغرباء في رحبة الكوفة (١) ..

وبهذا كان من السهل على الحاكم أن يصل إلى طلبته من خلال رؤساء القبائل والعرفاء ومن دونهم في السّلم الإداري والقبليّ.

وقد سخر ابن الأمة الفاجرة هذه التشكيلة الاجتماعية لأغراضه الأمنيّة فهّدّ العرفاء والرؤساء وطالبهم أن يكتبوا له كلّ غريب وقريب

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

إذا كان على خلاف ما يحبّ ويهوى، أو كان خارجاً عن طاعته أيّاً كان.

روى الطبري بالإسناد عن أبي وداك، قال:

«لما نزل القصر نودي: الصلاة جامعة.

قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين!! أصلحه الله، ولآني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنقذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبؤ عنك لا الوعيد.

ثمّ نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحروريّة وأهل الريب الذين رأيهم الخلف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرفته ألاّ يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله

وسفك دمه.

وأما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه
إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء،
وسير إلى موضع بعمان الزارة»^(١).

وبهذا جعل العريف ومن تحت عرافته في دائرة التهديد، إذ لم يقف
عند صلب العريف على باب داره وهدر دمه وإباحة ماله، وإنما هدد
بإسقاط العرافة كلها من العطاء...

توظيف ما يسمّون بالأشراف!

جمع عُبيد القُرود ابن زياد الرؤوس العفنة التي كانت تسمّى
«الأشراف» وسخرهم في التخذيل، وكان لهؤلاء الأقرام تبع وذيول
ومساحة واسعة من التأثير بدوافع تتباين عند الأتباع، فربما أطاعهم
البعض بدافع التعصّب القبلي، أو الخوف من الأتباع الآخرين أو الخوف
من السلطان باعتبار أنّ الشخصية التي يعدّها حصناً له فيلجأ إليها إذا
دهمه خطر أو يستجير به قد خضع للسلطان وأطاع، فكيف يتمرد الفرد
العاديّ المتقلّب في قبضة زعيمه؟!

وربما كان لهم نفوذ اجتماعي ووجاهة مزيفة عند البعض الذين

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

يعتقدون أنّ كبراءهم من ذوي الرأي والحصافة ولا يعرف لجهله أو تعصّبه أو عماه أنّهم أشباه رجال ليس فيهم مسحة رجولة إلّا في ظاهر تركيبيهم الجسدي لا أكثر..

ففي الأخبار الطوال للدينوري:

«وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشرف أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحيه من السور، فخوّفوا القوم» (١).

وفي تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد رحمهما الله وغيرها:

«فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثمّ أشرفوا على الناس» (٢) ...

توظيف أفراد الأسر

لا يخفى ما لأفراد الأسرة من أثر بليغ في التأثير العاطفي والضغط الاجتماعي على الهمم والعزائم تثبيتاً أو تثبيطاً. فلأب والأم والابن والبنت والزوج والزوجة دور فاعل ومباشر على

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، روضة الواعظين للفتال:

١٤٩، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٤٨.

بعضهم البعض، بيد أن هذا الدور يكون إيجابياً حينما يكون في أهل بيت مؤمنين، ولا يمكنه أن يؤثر سلباً على المجاهد في سبيل الله حينما يكون من موقفه على يقين.

أما إذا كان الدور في بيوت العنكبوت، فإن القلوب الحاوية والنفوس الضعيفة المتشاقة سرعان ما تهوي أمام العواطف الخادعة، والمواقف البشعة، فتتزلزل الأقدام وترتعش القلوب وتترأخى القبضات وتفل العزائم وتخور القوى وتتفلت أشباه الرجال وتميل المناكب لتتزلق وتتصل عن كل مسؤولية وتتمرد على محامد الأخلاق وتستسيغ الذل وتركب مساوئ الأخلاق وتمطي الرذيلة.

ولا يعد من ينسحب من جبهة الحق ويخرج عن الصراط المستقيم إلى السبل المؤدية إلى النار لمجرد دعوة زوجة أو أم أو أخ أو أخت ... رجل حرب ولا إنسان صاحب موقف، ولا مؤمن يتقي الله في مخالفة العهد والميثاق.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ

اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾.

وقد ورد في المصادر أنّ «المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، فيذهب به فينصرف» (٢).

كيف يميل الإنسان عن طريق الجنّة، ويهوي في منزلقات الجحيم لمجرّد أن يقول له أحد أقربائه: «انصرف». وهل يسمّى هذا الموجود الضعيف المتهرّئ الخاوي التافه الوضع مبيعاً.. مقاتلاً.. ثمّ يحسب إذا عدّ العسكر؟!

التخويف والتهويل لأهل المعصية

التخويف والتهويل وسيلة فاعلة في الإنسان، غير أنّها مؤثّرة في المؤمن المستقيم والناظر في عواقب الأمور فيما إذا كان الأمر يستحقّ التهويل، والمآل يستحقّ التخويف منه، فهو يخاف من نذر الله، ويهول المعصية وعاقبتها على نفسه حينما يكون عاصياً لمن لا يسمح الشرع والعقل بمعصيته، ويكون قادراً على العقاب الأبديّ السرمديّ، ولا

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦.

يخاف المؤمن غير الله ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تهديد مهدد، ولا تلويح بعقاب، بل ولا يعبأ بما يسميه الطاغوت عقاباً مادام فيه رضا الله ولا يجزّس خطه، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

أما النفوس الضعيفة المتشبّثة بسفاسف الدنيا الدنيّة الذليلة، من الذين حليت الدنيا في أعينهم، وأبهرهم زبرجها وزيفها، فإنّهم يحسبون لهذا التهويل والتخويف حساباً، خوفاً على الداني من العيش الرخيص، وتعلّقاً بقشّة الأيام المتكسّرة المنصرمة على الرغم منه، فلا يرى نعيم الله ولا عقابه، وإنّما يفكر في العقاب الفاني الزائل الصادر في حقّه من ضعيف زائل.

وقد وظّف ابن الأمة الفاجرة هذا النوع من التخذيل وأثّر في المذبذبين والمنحرفين الذين عمشت عيونهم، وأصيّبت بصائرهم، وختم الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، وما أكثرهم.

روى الدينوري في الأخبار الطوال:

«وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشرف أهل الكوفة: ليشرف كل رجل منكم في ناحيه من السور، فخوّفوا القوم» (١).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

وفي تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد رحمهما الله وغيرها:

«فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثمّ أشرفوا على الناس.. وخوّفوا أهل العصيان» (١)...

وفي تاريخ الطبري أيضاً:

«ولا تختلفوا ولا تفرّقوا، فتهلكوا، وتذلّوا، وتقتلوا، وتجنّفوا، وتحرموا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر» (٢).

وفي الفتوح لابن أعمش:

«- قول ابن زياد: - ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر» (٣).

التخويف بالحرب

ذكرنا أكثر من مرّة أنّ «كوفة الجند» كانت حاضنة عسكريّة وثكنة يقطنها الجيش الجاهز للقتال في أيّ صقع أو ثغريؤمر به.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، روضة الواعظين للفتّال:

١٤٩، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٤٨..

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦.

(٣) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٨٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٦.

وقد خاضت الكوفة منذ أن تمصّرت عسكرياً حروباً طويلة الأمد، وأفرادها في حالة حركة دائمة بين الثغور يرجع أحدهم ليستريح ثم يعود حيث يوجّهه الأمر العسكريّ والحاكم المتسلّط من قبل الملك. والكوفة يومها كانت تكتظّ بعوائل الشهداء والقتلى جراء الحروب والصدامات حقّاً كانت أو باطلاً.

والفرد المقاتل المنهزم نفسياً والخاوي عقائدياً يعرف ما تعني كلمة الحرب وقد ذاق ويلاتها واكتوى بنيرانها..

وابن الأمة الفاجرة عاش الكوفة ورأى وسمع ما جرى على أهلها من جراء الحروب، فضرب على هذا الوتر الجراح المتأرجح في القلوب المتهزّة، فأمر أذنا به أن يخرجوا إلى الناس ويخوّفهم الحرب:

«ودعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب» (١) ...

فانصاع له النكرات انصياعاً أعمى يكشف عن سوء السرائر وكذب النوايا، فأَيّ حرب كان يخوّفهم منها؟

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٣، الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.

ألم يزج بهم في حرب أتت عليهم دنياً وآخرة؟
هل خافوا مغبة الحرب فانصرفوا إلى رحالهم آمنين مطمئنين
وادعين؟
ألم يخرجوا بعد حين لحرب ريحانة النبي ﷺ وسيد شباب أهل
الجنة ﷺ!

الجفاء والإذلال

جفاء السلطان يعني أن يترك الصلة والبر، ويقسو قلبه ويغلظ طبعه
عليهم.

والجفاء والاحساس بالحقارة وحبّ إذلال الآخرين طبع في الدعي
وابن الزنا، وطبع متأصل وله جذور ضاربة في أعماق الدعي ابن
الدعي، وليد حارة البغايا في الطائف ابن الأمة الفاجرة، فإذا انضم إليه
عزم منه على الجفاء والإذلال، وكان بقصد الانتقام والتهديد، فإنه
سيتفّن في ذلك ويُري الناس صوراً من الجفاء والإذلال لم يألوها من
قبل.

وقد صرّح الجرو المسعود ابن زياد بذلك في خطبته مهدداً إذ قال:
«أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم!،
ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتحفوا

وتحرموا» (١) ..

التهديد بيزيد وجنوده

كان مما هدد به الجرو المسعود ابن زياد أهل الكوفة، وخوفهم منه مواجهة القرد المخمور يزيد بن معاوية! وخيول أهل الشام!

روى البلاذري في أنساب الأشراف قال:

«ويتوعدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام» (٢) ..

وروى الطبري والشيخ المفيد في الإرشاد وغيرها قال:

«وتكلم كثير حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس

الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل،

فإن هذه جنود أمير المؤمنين! يزيد قد أقبلت ... وتكلم

الأشراف بنحو من ذلك» (٣).

أما خيول أهل الشام، فربما كانت تهديداً لأهل الكوفة، لأنهم قد

التحموا معهم في معارك ضارية، كما سيأتي بعد قليل.

أما التهديد بيزيد الخمور والقروء! فمن أعجب العجب أن يكون مؤثراً

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١.

في القوم مهما كانت نفوسهم ضعيفة وصدورهم خاوية.

ولاندري كيف استسلم هؤلاء الجبناء لمثل هذا التهديد الفارغ وهم
يخيرون بين محاربة سليل الأتبياء والأوصياء، ومن شاهدوا بأمّ أعينهم
شجاعته وشجاعة أبيه وأخيه وأهل بيته وبين الرعديد الجبان سليل
الجبناء!

التهديد بجيش الشام

لقد فرّقنا بين العنوان السابق وهذا العنوان لما في العنوان السابق من
إشارة تهديد بشخص يزيد الماغن الرعديد، وقد نسب الجند هنالك
ليزيد القروء.

أما هنا فالتهديد بخيول أهل الشام وجنود الشام.

روى الدينوري في الأخبار الطوال:

«ولاتوردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجزّيتم

شوكتهم» (١)!!

وروى الطبري أيضاً:

«أشرفوا على الناس ... وأعلموهم فصول الجنود من الشام

إليهم» (٢).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد:

«فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس.. وأعلموهم وصول الجند من الشام إليهم» (١).

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف:

«وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصريّتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعدونهم بأجناد الشام» (٢)..
عسكر الكوفة بعد لم ينس الحرب الضروس التي خاضها مع جند الشام، وإنما كان في عسكر الكوفة شيء من ثبات لوجود أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده وأمثال مالك الأشر وعمار والمرقال من الشجعان البواسل الذين حرضوا على قتال القاسطين بمقاهم وفعالهم.

ويبقى السؤال من هؤلاء الأوباش الذين خذلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم انفعلووا بتهديد الجرو المحجور ابن زياد بخيول الشام، وزحفوا بجمعهم يوم ساقهم لحرب أشجع من خلق الله؟!

(١) الإرشاد للمفيد عليه السلام: ٢ / ٥٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ /

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٥٣.

عقوبة السلطان

ورد التهديد بعقوبة السلطان، في المصادر بالفاظ شتى، وهو تهديد يفهمه الكوفيّون جيّداً، ويعلمون أنّ الكوفة في حصار مطبق، وضبط يحصي الأنفاس والنسمات، والسلطان الذي يشيرون إليه وغد فاجر، ووحش كاسر، لا ذمّة له ولا ضمير، ولا حدود لتنكيّله، ولا يعترف بشيء إلاّ شريعة آل أبي سفيان.

فقد روى الطبري في التاريخ:

«ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب، ويحدّثهم

عقوبة السلطان» (١) ..

وروى الطبري أيضاً:

«أشرفوا على الناس فمتّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا

أهل المعصية الحرمان والعقوبة» (٢) ..

وروى أبو الفرج في مقاتل والشيخ المفيد في الإرشاد:

«ويحدّثهم عقوبة السلطان» (٣) ..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦، الإرشاد للمفيد: ٥٠، روضة الواعظين للفتال:

وروى الشيخ المفيد ؑ:

«وجعل محمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والققعاع بن شور
الذهليّ وشبث بن ربعيّ يردون الناس عن اللّٰهق بمسلم
ويخوّفونهم السلطان» (١) ..

وقال الطبري والشيخ المفيد في موضع آخر:
«... وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة» (٢) ..

وذكر لهم بعض النماذج من عقوبة السلطان، وأنه قد اتّخذ عهداً أن
ينزل بهم عقوبته إن هم تمردوا عليه، كما روى المفيد في الإرشاد قال:
«وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس
الحقوا بأهاليكم ... وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن تمتم على
حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ... وتكلّم الأشراف
بنحو من ذلك» (٣) ...

١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال:
١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين
للفثال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

لقد ذكر زهير بن القين صاحب ميمنة معسكر التوحيد، والعلويّ الذي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام ^(١) بعض عقوبات السلطان في خطبته يوم عاشوراء حينما دعاهم إلى نصر آل محمد عليهم السلام وخذلان الطاغية، وذكرهم بما ذاقوه في ظلّ الحكم الأمويّ الغاشم على أيدي الأعداء من أمثال زياد وابنه ...

«فقال: وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما بسوء عمر سلطانهما كلّه، ليسملان ^(٢) أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر بن عديّ وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه» ^(٣).

ذكرهم زهير بمشاهد عاصروها ورأوها ملء العين، واكتووا بنارها الحامية ولا يزالون يئنّون من لظاها، وذكرهم بشخصياتهم ورؤوسهم الشاحخة وجماعهم العالية التي اقتطفها أحقاد الأمويين وأذناهم من أمثال حجر بن عديّ وهاني بن عروة وميثم التمار ورشيد الهجري،

(١) للمزيد انظر: كتاب «زهير بن القين علويّ خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

(٢) يسملان: يقال: سمل عينه أي فقأها بميل محمي.

(٣) انظر: دلالات خطبة زهير مفصلاً في كتاب «زهير بن القين علويّ خرج يتلقّى الحسين عليه السلام» للمؤلف.

وغيرهم الذين قتلوا وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على جذوع النخل ...

وقد اقتبس زهير هذا المشهد من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حيث يقول في كلام له بعد أن يذكر قتل حجر والمصلين العابدين وعمرو ابن الحمق الخزاعي العبد الصالح صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وادّعاء زياد ابن سمية:

«ثُمَّ سَلَّطْتُهُ - أَي زِيَادًا - عَلَى الْعِرَاقِينَ يَقْطَعُ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيَسْمُلُ أَعْيُنَهُمْ، وَيَصْلِبُهُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ» (١) ...

هذه نماذج سريعة من عقوبات السلطان التي عاشها الكوفيون وشاهدوها وذاقوها بأنفسهم، ولكنهم نسوا أن ﴿اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾، ﴿وَأَنَّ عَذَابَ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

نفي الحرمة وإسقاط حصانة الإسلام

براءة الذمة من أحد يعني أنه خارج عن ربقة الإسلام، فلا حصانة

(١) زهير بن القين علوي خرج يتلقى الحسين عليه السلام: ١٠٦، عن اختيار معرفة الرجال للطوسي: ١ / ٢٥٦، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: ٥٣٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٢١٣.

له من قوله: «لا إله إلا الله»، ولا حرمة لدمه ولا عرضه ولا ماله، بل تسلب منه حتّى حصانة الذمّي، لأنّ الذمّي داخل في الذمّة.

قد استعمل ابن الأئمة الفاجرة هذا التهديد لغرض استقصاء الناس وإحضارهم جميعاً بين يديه.

روى الدينوري في الأخبار الطوال:

«وأمر منادياً فنادى بالكوفة: ألا برئت الذمّة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد، فاجتمع الناس» (١) ...

وكذا في تاريخ الطبري:

«ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد، فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس» (٢) ...

وفي تجارب الأمم لمسكويه:

«ونادى: برئت الذمّة من رجل من الشرطة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلّى العتمة إلّا في المسجد! فلم تكن إلّا

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٢.

ساعة حتّى امتلأ المسجد» (١) ..

وفي مقاتل الطالبين:

«ونادى في الناس: برئت الذمة من رجل صلى العتمة إلا في

المسجد، فاجتمع الناس في ساعة» (٢) ..

واستعمل هذا التهديد أيضاً في مواضع أخرى من قبيل ما رواه في

الفتوح لابن أعثم نقلاً عن ابن زياد:

«وقد برئت الذمة من رجل أصبناه في داره» (٣) ...

التهديد بالقتل

التهديد بالقتل هو عند هؤلاء الناس من أعظم ما يخافونه، لأنه يعني الموت الأحمر، ومفارقة الدنيا التي باعوا آخرتهم من أجلها. وهو عند ابن الأئمة الفاجرة والأقذار المتدلية من ذنبه أهون ما يفعلونه، وديدن يالفونه، بل هو لذة يمارسونها بغلظة ونهم.

روى الطبري في التاريخ خطبة ابن زياد، وفيها:

«أمّا بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم،

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٠.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٨.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتحفوا وتحرموا» ..

وروى الطبري والشيخ المفيد وغيرهما، قالوا:

«وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس

الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم

للقتل» (١) ...

هدّدهم أن يلتزموا طاعته التي فيها سخط الرحمن لئلا يُقتلوا، فخافوا

القتل بسيف الدعيّ ابن الدعيّ الذي كان جوازهم إلى جنّات النعيم،

ثمّ ساقهم إلى القتل بسيف سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)، الذي يهوي

بهم في طبقات الجحيم.

قتل كبار القوم والأشراف

كان من أهمّ الوسائل التي اتخذها بنو أميّة وأذناهم في تخويف

الناس وتجيئهم هو اقتطاف الجماجم، وقطع الرؤوس الضخمة، وتقصير

الهلمات العالية بالاجتزاز، وإقناع الناس أن لا مكان للكبار في غابة

الأقزام، فإذا كان عليّة القوم وجماجمهم معرّضة للقتل والتنكيل فكيف

بالصغار؟!

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦، الإرشاد للمفيد: ٢

/ ٥٣، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٩.

ولهذا كانوا يقتلون العظماء بين ظهرائي أقوامهم، كما فعل بميثم ورشيد وعمارة بن صلخب (صلحب) وغيرهم:

روى البلاذري في أنساب الأشراف، قال:

«وخرج عمارة بن صلحب الأزدي (كذا) وكان ممن أراد نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به فأمر به فضربت عنقه في الأزدي» (١)..
وقال ابن زياد مخاطباً العرفاء:

«وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره» (٢).

أخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب

في أنساب الأشراف:

«وأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب» (٣) ...

(١) أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٩، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٣٩٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨.

وفي الإرشاد:

«وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس
الحقوا بأهاليكم .. إلى أن قال: - وأن يأخذ البريء بالسقيم
والشاهد بالغائب .. وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك» (١).

وهذا يعني تجريم المجتمع كلاً، والتعامل بالهمجيّة وسلب الأمان
والاستقرار، وإشاعة الخوف عند الجميع، فلا يسلم من يد البطش أحد
بتاتاً..

الإبادة الجماعيّة والهلاك والقهر

تجد في كلام «كثير» مشهداً مروّعاً للإبادة الجماعيّة والهلاك والقهر
بكلّ وسائله المتاحة يومذاك.

فقد روى المفيد في الإرشاد قال:

«وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:
أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم .. وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن
تمّتم على حربته ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريّتكم

(١) انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٦، تاريخ الطبري: ٥ /

٣٦٨، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٦٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار

الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريء
بالسقيم والشاهد بالغائب، حتى لا تبقى له بقية من أهل
المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت أيديها.
وتكلم الأشراف! بنحو من ذلك» (١).

ويعد ما ذكره في كلامه من أهم وأنفذ وسائل الإبادة الجماعية من
قبيل التعريض للقتل والحرمان من العطاء والإقحام في الحروب، وغيرها
من الوسائل والأساليب المذكورة في النص التي تقضي عليهم ولا تبقى
لهم أثراً، ولا تبقى بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت
أيديها..

وكذا هي الصورة في خطاب ابن الأمة الفاجرة الذي رواه الطبري،
وقد نص فيه على الهلاك، فقال:

«أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم،
ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتحجفوا
وتحرموا» (٢) ...

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

وفي نصّ الفتوح لابن أعثم تصريح بالقهر:

«ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر» (١).
وهنا جعل نفسه في حلّ، وحمل الأفراد جميعاً مسؤوليّة القضاء على أنفسهم، لأنهم جعلوا السبيل على أنفسهم، ولم تغنهم النذر..

منع العطاء والحرمان

هدّدهم اللعين الجائر بمنع الأعطية كما في أنساب الأشراف، والحرمان كما في تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد، قال:
«فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثمّ أشرفوا على الناس.. وخوفوا أهل المعصية الحرمان» (٢) ...

وفي تاريخ الطبري:

«أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٨٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال:

١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨.

وتحرموا» (١) ..

وفي تاريخ الطبري أيضاً:

«أشرفوا على الناس فمَثُوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخَوْفُوا

أهل المعصية الحرمان» (٢) ...

ولم يقتصر في التهديد على حرمان المباشرين للتمرد عليه، وإنما ضرب على وتر حساس يهَمُّ كُلَّ إنسان، حيث توَعَّدَهم بحرمان ذرِّيَّاتهم ومن سياتركون من خلفهم، لأنَّهم حسب فرضه سيقتلون ويهلكون ولا يبقى منهم أحد، فحرمان الآباء من العطاء سيكون بقتلهم وحرمانهم من الدنيا بأسرها، أمَّا العطاء فستحرم منه الذرِّيَّة من بعدهم.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

«وتكلَّم كثير حتَّى كادت الشمس أن تجبَّ، فقال: أيُّها الناس

الحقوا بأهاليكم.. وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن تَمَّتْ على حربِه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم

ذرِّيَّتكم العطاء ... وتكلَّم الأشراف! بنحو من ذلك» (٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ /

تفريق المقاتلة في الثغور ومغازي الشام

من لم يقتل في الكوفة فإنه سيحكم بالإعدام بطريقة أخرى حيث يفرّق بينه وبين أهله، ويحرم من عشيرته وقومه، وينفي في الأرض إلى حيث سيقتله العدو في أرض غربة ...

روى الشيخ في الإرشاد قال:

«وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم .. ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام .. وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك» (١).

محو العرافات وإلغائها من العطاء

خطب الجرو المسعود الدعيّ ابن زياد، فهذّد وأرعد، ثمّ نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

«اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحروريّة وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألاّ يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي

علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله
وسفك دمه، وأيمًا عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين
أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة
من العطاء، وسيّر الى موضع بعمان الزارة» (١).

وهذه تهديدات خاصة للعرفاء، وفيها تشديد ووعيد واستباحة
مرعبة للمتخاذلين عن الباطل.

موقف مذحج

كان لموقف مذحج القبيلة الكبيرة في الكوفة دوراً مؤثراً في تخذيل
الناس بعد أن تخاذلت عن رأسها وكبيرها وزعيمها والمبرز بالفضل بينها
حينما رجعت عن قصر الخبال مكتفية بما زعمه شريح وممثلة لأمر عمرو
ابن الحجاج الزبيدي «المتفاني في امثال أوامر أعداء أهل البيت عليهم السلام
مع أنّ هائناً كان صهراً له» (٢).

تقول الرواية التاريخية:

«وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هائناً قد قتل، فأقبل في مذحج

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٦٩، نهاية

الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٩٠.

(٢) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٠٥.

حتىّ أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادى:
أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع
طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا
بذلك!

فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب!
فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ
أخرج وأعلمهم أنّه حمي لم يقتل!
فدخل شريح فنظر إليه، فقال هاني لما رأى شريحاً: يا لله! ويا
لمسلمين! أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل
المصر؟! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرّجّة على باب
القصر، فقال: إنّني لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من
المسلمين، إنّهُ إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني!

فلما سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم: إنّ الأمير لما بلغه
مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته
فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذي
بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أمّا إذا لم يقتل فالحمد

لله! ثمّ انصرفوا!!» (١)

وفي رواية الدينوري:

«فقال لهم سيّدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم

حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا، فانصرفوا» (٢)!!

انصرفوا وخذلوا هانياً بقيادة عمرو بن الحجاج الذي قادهم من قصر الخبال إلى قصر الخبال مرّة أخرى، وانقلبوا على أنفسهم ودخلوا في طاعة ابن الأمة الفاجرة وسيّده القرد الأمويّ المخمور إذ أعلنوا أنّهم لم يخلعوا طاعة ولم يفارقوا جماعة.

وكانوا قد خرجوا تحت عنوان كبير «فرسان مذحج ووجوهها»، وفي نصّ ابن أعثم:

«... فركبوا جميعهم عن آخرهم حتّى وافوا باب القصر فضجّوا وارتفعت أصواتهم...» (٣).

ولم تكن مذحج يومها في الكوفة قليلة العدد ولا العدة، فرجوعها واستسلامها لأعداء سيّد الشهداء عليه السلام وانصرافها عن الحقّ يعني

(١) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٠٨، عن الإرشاد للمفيد: ١٩٢.

(٢) مع الركب الحسيني: ٣ / ١٠٩ عن الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٨.

انسلاخ كمّ هائل من الناس وهروبهم الجماعيّ باتجاه العدو، وهذا النمط من الخيانة يعدّ من المخذلات المؤثرة في المنهزمين والمتذبذبين!

* * * * *

هذا باختصار ما يتعلّق بجانب الوعيد والتهديد، أمّا الوعد والترغيب:

الوعد والترغيب

قد جعل لمن سمّاهم أهل الطاعة ممّن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم الزيادة والكرامة! وتوفير العطاء، ورفع لهم رايات الأمان ليفرج لهم الطريق إلى جحور الوشم بالعبوديّة، ومصانع الطرق والسحب والتشكيل وفق مرادات الشياطين، والانصهار التامّ في عفن التبعية للقروء الأموية.

وقد ورد التصريح بذلك في تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد والكامل لابن الأثير والمناقب لابن شهر آشوب وتجارب الأمم لمسكويه وغيرها من المصادر.

والترغيب والطمع هو أحد أركان التخذيل، التي تنصاع لها النفوس الضعيفة والقلوب الخاوية، التي تتشبّث بالدنيا وزبرجها وزخارفها وترتكس في لذاتها وشهواتها وتخلد إلى قيعان نزواتها ويختطف بريق الصفراء والبيضاء أبصارها وبصائرهما، فتدلع ألسنتها وتدمن لحس قيء

القرود المخمورة والدمن المتعلق بأذنانها، وقد بان واضحاً في تصريحات المخذّلين، وأوّلهم سليل البغاء ابن زياد في خطابه الأوّل في الكوفة حينما قال:

«...يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولّاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدة على عاصيكم ومريبكم، وأنا منتبه في ذلك إلى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق...» (١).

وروى الطبري في تاريخه عن ابن زياد قال:

«أشرفوا على الناس فتمتوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة» (٢) ... وجعل لعوامهم جعلاً، ولكبرائهم جوائز وقطائع وعطايا، فسالت أودية بلعابهم العفن.

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

المتأثرون بالتخذيل

ينقسم الناس حسب تأثرهم بالتخذيل وانفعالهم به إلى أقسام:

القسم الأول: العوام

العوام يمثلون الأكثرية التي تغطي الأغلب، وربما أمكن التعبير بالجميع إلا ما ندر من المجتمع الكوفي يومها، من الذين كانوا في خدمة الوالي وتحت تأثيراته، وهم من أتباع العجل والسامري.

وهؤلاء كانوا هم المخاطب المستهدف في حملات التخذيل، ويبدو من لحن الخطاب ونوع التهديد أنهم المقصودون بالخصوص، إذ أن التهديد بإنفاذ رجالهم إلى الثغور البعيدة وحرمانهم من العطاء يشير إلى أنه تهديد لأفراد العسكر المسجل في الديوان حيث يمكن للوالي وهو قائدهم العسكري والأمر والناهي فيهم أن يتخذ فيهم قراراً.

وكذا تهديدهم بجند الشام، وأنهم قد ذاقوا سيوفهم وعرفوا صولاتهم، فهو تهديد مباشر لشريحة كانت تبأشر القتال ولعوائلهم ...

وكذا النداء ببراءة الذمة من الشرطة والحرس والعسكر إن لم يحضروا المسجد ...

فهم المخذلون المتأثرون، فُصدوا بحملات التخذيـل، فاستجابوا ورضخوا..

القسم الثاني: الشيعة

لم نجد - حسب فحصنا - نصاً صريحاً يشير إلى تهديد يستهدف الشيعة حسب ولائه واعتقاده الخاص بالإمام المعصوم عليه السلام.

وقد مرر معنا أن الشيعة كانوا أقلية قليلة جداً في المجتمع الكوفي يومذاك، مع ذلك يمكن تقسيمهم إلى كواكب لأهميتهم ولتمييزهم:

الكوكبة الأولى: من كان في عسكر القوم

إن كان هذا الشيعة المفترض فرداً عسكرياً منضوياً تحت أغصان الشجرة الملعونة، ولم تغيره دعوة سيد الشهداء ولا سفيره عليه السلام، وبقي بالرغم من مجريات الأحداث الجارية أيام قيام سيد الشهداء عليه السلام لم يتزحزح عن مكانه، ولم ينقل موقفه من جيش الضلال إلى معسكر الهدى، فهو - والحال هذه - مصنف ضمن القسم الأول، وقد انسلخت

عنه هوية التشيع، فلا موقع له هنا ضمن هذه الكوكبة، ويعود ليعدّ في القسم الأول من العوامّ.

الكوكبة الثانية: من لم يكن منضوياً تحت رايات الضلال

من كان من الشيعة في عداد العسكرالذي كان يسمّى يومها بالجيش الإسلامي غير أنّه قد نقل موقفه، أو أنّه لم يكن من رأس منضوياً تحت رايات الضلال، ولا متعلّقاً بأغصان الشجرة التي ما لها من قرار، وابتلي في تلك الأيام بالحبس أو السفر البعيد أو أيّ عذر آخر. فهؤلاء جميعاً لم يتأثروا ولم ينفعلوا، والمفروض أنّهم ثبتوا، وإن لم يبلغوا الفتح ...

الكوكبة الثالثة: الخواصّ

هؤلاء هم الكوكبة الخالصة الخاصّة من أنصار سيّد الشهداء ﷺ التي طلعت شهباً أحرقت جذور الشجرة الملعونة، وطلعت نجوماً زواهر أنارت الدنيا والآخرة بنورها الوهاج الذي امتزج بأنوار الإمام ﷺ التي لن تطفأ أبداً.

وهؤلاء لم يعبأوا بالتهديد والتخذيل، بل ما زادهم إلاّ عزيمّة وإيماناً وثباتاً ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

الكوكبة الرابعة: أعدوا ولم يلحقوا

وهم الذين أعدوا واستعدوا لنصر سيد الشهداء ؑ ولم يلحقوا
الفتح، ونذكر لذلك نموذجين:

النموذج الأول:

روى السيد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في مثير الأحزان
والمجلسي في البحار:

«... وكان الحسين ؑ قد كتب إلى جماعة من أشرف البصرة
كتاباً مع مولى له اسمه: "سليمان" ويكنى: "أبا رزين" يدعوهم
فيه إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي،
والمندر بن الجارود العبديّ.

فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلما
حضرُوا قال: يا بني تميم! كيف ترون فيكم موضعي وحسبي
منكم؟! »

فقالوا: بخ بخ! أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حلت في
الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً.

قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم
عليه.

فقالوا: إنّنا والله نمحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل حتّى نسمع.

فقال: إنّ معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد! اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر، ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحقّ موطن قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعيّة، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكّعوا في هدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلّا أورثه الله

الذّل في ولده، والقلة في عشيرته.

وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وادّرت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك والله بأسيا فنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل.

وتكلّمت بنو سعيد بن يزيد، فقالوا: يا أبا خالد! إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا!! فأمهلنا تراجع المشورة، ونأتيك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد! نحن بنو أبيك وحلفاءك، لا نرضى إن غضبت، ولا نوطن إن ظننت، والأمر إليك، فادعنا نجيبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد! لن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم،

أمّا بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه،
ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصبي من
نصرتك، وإنّ الله لا يخل الأرض قطّ من عامل عليها بخير، أو
دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في
أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة، هو أصلها وأنتم فرعها،
فأقدم سعديت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم،
وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم
خمسها وكظّلها، وقد ذلّلت لك بني سعد، وغسلت درن
صدروها بماء سحابة مزّن حين استهمل برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: ما لك آمنك الله يوم
الخوف، أعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر.

فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل
أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه» (١).

(١) اللهوف لابن طاووس: ٣٨ وما بعدها، مثير الأحران لابن نما: ٢٩، بحار الأنوار:

النموذج الثاني:

روى الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات مسنداً:

«عن أحمد بن عمرو بن مسلم عن الميثمي قال: خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليه السلام، فمروا بقرية يقال لها: "شاهي"، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب، فسَلَّمَا عليهم.

قال: فقال الشيخ: أنا رجل من الجنّ، وهذا ابن أخي أردنا نصر هذا الرجل المظلوم.

قال: فقال لهم الشيخ الجنيّ: قد رأيت رأياً.

فقال الفتية الإنسيّون: وما هذا الرأي الذي رأيت؟

قال: رأيت أن أطيّر فآتيكم بخبر القوم، فتذهبون على بصيرة. فقالوا له: نعم ما رأيت.

قال: فغاب يومه وليلته، فلمّا كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونّه ولا يرون الشخص وهو يقول:

والله ما جئتكم حتّى بصرتُ به بالطّف منعفر الخدّين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهم مثل المصاييح يملون الدجى نورا
وقد حثّت قلوصي كي أصادفه ممّن قبل ما أن يلاقوا الخردّ الحوراء
كان الحسين سراجاً يستضاء به الله يعلم أنّي لم أقل زورا

مجاوراً لرسول الله في غرف وللبتول وللطيار مسروراً

فأجابه بعض الفتية من الإنسيين يقول:

إذهب فلا زال قبرأنت ساكنه إلى القيامة يسقي الغيث ممطورا

وقد سلكت سبيلاً أنت سالكه وقد شربت بكأس كان مغرورا

وفتية فرغوا لله أنفسهم وفارقوا المال والأحباب والدورا (١)

الكوكبة الخامسة: المتقاعسون المنتحلون للتشيع

هم طائفة ممن انتحل التشيع وادّعى نصره أهل البيت عليه السلام غير أنهم تقاعسوا ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وأخلدوا إلى الدنيا، ومن طبع هذا النمط من المخلوقات التأثر والانفعال بالتهديد، والطمع بالدنيا.

غير أننا لم نجد نصّاً تاريخياً موثقاً يذكر لنا شيعة من هذا القبيل، وإنما استفدناه من حديث ورد عن أهل البيت عليه السلام ربما يفهم منه الإشارة إلى هذا النوع ممن يسمّون شيعة، بنفس الدواعي التي تسمح بتسمية الأمة التي حرّفت دين النبي صلى الله عليه وآله وأعرضت عن كتابه وتركته وراء ظهورها وعدت على عترته فقتلتهم وشرّدتهم بـ «أمة النبي»، فهم يحسبون أنفسهم على النبي صلى الله عليه وآله رغماً عنه وعتوّاً وطغياناً عليه.

روى العياشي في تفسيره:

«عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ مع الحسن عليه السلام ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ... ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى خروج القائم عليه السلام، فإنَّ معه النصر والظفر، قال الله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الآية» (١).

وروى العياشي أيضاً:

«عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

والله الذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة ممَّا طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، إنما هي طاعة الإمام عليه السلام، فطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

«وقوله: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام».

(١) تفسير العياشي: ١ / ٨٥٢، سورة النساء: ٧٧.

«الحليّ عنه عليه السلام: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ قال: يعني ألسنتكم»..

ربما أمكن الاستفادة من مجمل جوّهذه الأحاديث، ومن انتظارهم القائم المنتقم عليه السلام، وطلبهم تأجيل القتال معه أنهم كانوا يزعمون الاعتقاد بالإمامة.

إنّ صحّ هذا الفهم، فهو إشارة صريحة إلى غلط خاص من المنتحلين للتشيع والمنتسبين له، فهم بزعمهم راضون وعلى التشيع محسوبون، وغاب عنهم أنهم قد امتازوا عن الشيعة، لأنهم لم يكونوا للإمام عليه السلام في مثل هذا الموقف سامعون مطيعون.

وقد ميّزتهم الدعوة الحسينيّة التي بلغتهم عن الشيعة حينما تحاذلوا وأعرضوا عنها، وأخرجتهم من دائرة التشيع لما تركوا نصره ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله من دون عذريذكر، فلا يصنفون في الشيعة بعد يوم الحسين عليه السلام، وإن أطلق عليهم الاسم باعتبارات عرفيّة وخارجيّة، إلا أنهم ربما كانوا ممّن تأثروا وانفعلوا بحملات التخذيل، طلباً للدعة والاسترخاء في ظلال الشجرة الملعونة الزائلة.

آثار التخذيل

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾..

التهديد والتخذيل إنما يؤثر في النفوس الضعيفة والعزائم المهزوزة والإرادات المتذبذبة والقلوب المنخورة والهمم المتهاوية المنحطة التي لم تذق طعم التوكل على الله، أما المؤمن الواثق الثابت الجنان المطمئن بما وعده به الرحمن فهو كالجبل لا تزلزله العواصف، ولا تستفل منه المعاول، ولا ترحزحه العواصف، يقول لمن هدّده بالموت ما قاله سيد الشهداء عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى

إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً (١)

(١) انظر: الأبيات في الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٤٠٤، الأمالي ←

ويجيب كما أجاب زهير بن القين إذ قال له شمر:

«إِنَّ اللَّهَ قَاتِلُكَ وَصَاحِبُكَ عَنْ سَاعَةٍ.

قال: أفبالموت تخوفني؟! فوالله للموت معه أحب إلي من

الخلد معكم» (١).

وقد عبّر أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام كلّ منهم بطريقته عمّا عبّر عنه

زهير بن القين صلوات الله عليهم أجمعين..

والذين ثبتوا مع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لم يعمل فيهم

التخذيل، بل شدّ عزمهم، ورسّخ مواقفهم، وثبّت أقدامهم، غير أنّهم

كانوا ذلك اليوم أقلّ القليل!

أمّا سيلانات الزبد الطافح في الكوفة يومذاك التي كانت تجري من

كلّ مناهجها وسككها ودورها، فإنّ التخذيل عمل فيها عمله، فكانت

النتيجة:

للزبيدي: ٩١، مثير الأحزان لابن نما: ٢٢، روضة الواعظين للفتال: ١٥٤، الإرشاد

للمفيد: ٢ / ٨٢، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٣٣،

الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٨٠، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤١٩، البداية

والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٧٣...

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٤٢٦، نفس المهموم للقمي: ٢٤٢، الكامل لابن الأثير:

٣ / ٢٨٨، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٤٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ /

الأثر الأوّل: الفتور

لما سمع من يسمّونهم بأصحاب المولى الغريب مسلم عليه السلام، وهو تعبّر استخدمه المؤرّخ، ويعني بهم من خرجوا في تلك الزحمة وكأثمهم في صفّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام مستجيبين لندائه، فإنّ التخذيّل بان فيهم على حدّ تعبّر البلاذري في أنساب الأشراف بهيئة الفتور، قال: «فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم فتروا بعض الفتور»..

فراح الحماس المتوهّج يخبو، والحميّة الكاذبة تبرّد، والمواقف المزيّفة تنكشف، والبهرج ينجلي، والطين النتن يغزو الآفاق بعفنه، بعد أن خمد دخان النار المشتعلة من الدمن في نفوس الانتهازيين والمتربّصين.. لأنهم كانوا أصغر وأحقّر من أن يباشروا الصيد بذواتهم، فأرادوا أن يأكلوا الجيف، فاستسلموا لابن الأمة الفاجرة، فأكلوا جيفهم أذلاء خاسئين.

الأثر الثاني: التفرّق

ربما كان تعبّر البلاذري لبيان حالة مرّ بها الناس يومذاك من دون ترتّب بين عبارته وعبارة غيره من المؤرّخين، غير أنّ النتيجة الطبعيّة للفتور وخمود الروح والتزلزل والعودة إلى المتبنّيات الأصليّة والمنطلقات الأساسيّة التي ينطلق منها الإنسان في حراكه دائماً.

وكيف كان، فإنّ عبّاد الطاغوت الخامس الذين اتّخذوا أهواءهم آلهة

انفعلوا وراحوا يتفرقون عن المولى الغريب عليه السلام، ويتعدون عن الصراط المستقيم، ويدلفون في السبل المتفرقة التي تؤدي بهم إلى وهاد جهنم وساءت مصيراً.

تجمهروا حول حبل الله الممدود لهم من السماء... بيد أنهم لم يمسكوه ولم يتعلقوا به، ولم يشددوا قبضاتهم عليه ويفتلوا أناملهم بخيوطه، ولو كانوا قد تمسكوا به لما أفلتوا منه ...

قال الطبري والشيخ المفيد وغيرهما:

«فلما سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرقون» (١) ...

الأثر الثالث: الانصراف

إذا انصرف الإنسان عن وجه الله فأين سيؤول وجهه؟

انصرفوا عن سيد الشهداء وسفيره المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام استجابة إلى أهلهم، وإن كان المحرك لذلك الانصراف هو تخذيل السلطان وحب الدنيا:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٠، روضة الواعظين للفتال:

١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٩، الكامل لابن

الأثير: ٣ / ٢٧٢، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٣٩٨.

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠٠﴾

ف«كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف.. ويحيى
الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع
بالحرب والشر؟ انصرف، فيذهب به فينصرف».

«فما زالوا يتفرقون وينصرفون..» (١) حتى بقي المولى في ثلة قليلة

معه .

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٦، الإرشاد
للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٨،
إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٩.

المعركة!!

اختلف العلماء والمؤرخون في بيان أحداث الحركة نحو القصر، ويمكن تقسيم أقوالهم إلى عدّة مشاهد:

المشهد الأوّل: تفرّق الجمع دون قتال

قال البلاذري:

«وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجّه محمّد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي، وعدّة من الوجوه ليخدّلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي، ويتوعّدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام ويمنع الأعطية وأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب.

فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى وما معه إلّا نحو
من ثلاثين رجلاً» (١).

وروى الطبري في خبر الدهني قال:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف
من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبّى ميمنته وميسرته، وسار
في القلب إلى عبيد الله، وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل
الكوفة فجمعهم عنده في القصر.

فلَمّا سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على
عشائهم، فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب
مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلَمّا اختلط الظلام
ذهب أولئك أيضاً» (٢).

وروى الطبري أيضاً:

«... قال أبو مخنف: وحدّثنى يونس بن أبي إسحاق، عن
عباس الجدلي قال:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن

(١) أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إنَّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه.

ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان. وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس.

وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمربن ذي الجوشن

العامريّ، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له: "عبد الأعلى بن يزيد"، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتیان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك!

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمّد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشباميّ، فلمّا رأى محمّد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهليّ إلى محمّد بن الأشعث: قد جلّت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمّد والقعقاع

فيمين أطاعهم من قومهم، قال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد -: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله.

وعقد لشبث بن ربعي لواءاً، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس ففتوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله ابن خازم الكثيري من الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تحبّ، فقال:

أيّها الناس، ألحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين!! يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن أتممت على حربيه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم

ذَرَيْتَكُمْ العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها. وتكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا.

فلما سمع مقاتلهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون. قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: إنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، فيذهب به.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً^(١).

وهذا الخبر على طوله وتفصيله وتعدّد رواته يدخل في المشهد الأول، لأنّه ينتهي بتفرّق الجمع دون أيّ قتال.

بل حتّى الشباميّ الذي أرسله المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لم يشتبك مع ابن الأشعث ولم يحصل بينهم قتال يذكر، إضافة إلى ما قد يناقش ويلاحظ في تفاصيله.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٥.

وروى المسعودي في المروج قال:

«ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهائي، أمر منادياً فنادى "يا منصور"، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل.

فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصره في القصر فلم يُنْسِ مسلم ومعه غير مائة رجل.

فلما نظر إلى الناس يتفرّقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة» (١).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

«فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهدّدوهم وتوعّدوهم. وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذّلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك.

فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنك غداً

بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثمّ تقالّوا حتّى بقي في ثلاثمائة ثمّ تقالّوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب، وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثمّ انصرفوا عنه» (١).

وقال ابن الجوزي في المنتظم:

«... فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، فمضى بهم إلى القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام. فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة» (٢) ..

وقال ابن شهر آشوب في المناقب:

«.. ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواله فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه، فتحرّز عبيد الله

(١) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٥.

(٢) المنتظم: ٥ / ٣٢٦.

وغلق الأبواب، وسار مسلم حتى أحاط بالقصر.

فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميّين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها فدخلوا القصر.

فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس فمّنوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتى أمسى مسلم وما معه إلا ثلاثون نفساً، فلمّا صلى المغرب ما رأى أحداً» (١) ..

وقال ابن حجر في الإصابة:

«ونادى مسلم بن عقيل - لما بلغه الخبر - بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة، فركب.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلا عدد قليل منهم.

فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا بقي وحده تردّد في

(١) المناقب لابن شهر آشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.

الطرق بالليل، فأتى باب امرأة» (١) ...

وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني:

«... وتكلم الأشراف بنحو من كلام كثير، فلما سمع الناس مقالتهم تفرقوا.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد:

إن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف.

فما زالوا يتفرقون وينصرفون حتى أمسى ابن عقيل وما معه إلا ثلاثون نفساً، حتى صليت المغرب، فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلذداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتى أتى باب امرأة يقال لها: طوعة» (٢) ...

وفي روضة الواعظين للفتال النيسابوري:

(١) الإصابة: ٢ / ٧٠.

(٢) مقاتل الطالبين: ١٠٤.

«فاجتمع لابن عقيل أربعة آلاف رجل، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمكّ باب القصر، وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة، وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته وخاصّته حتّى كادت الشمس أن تغيب.

فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ، انصرف، فيذهب به فيصرفه، فما زالوا يتفرّقون عن ابن عقيل حتّى أمسى وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلما رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ.

فضى على وجهه متردداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب،

فشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة» (١) ...

المحصّل:

المحصّل من هذه الأخبار أنّ الجمع المحتشد والزخم المتراكم قد انفعّل بحملات التخذيّل وتسلّل وانخرم وتفرّق وانصرم دون أيّ حرب وقتال واشتباك وتلاحم لا من قريب ولا من بعيد.

ولم تذكر هذه النصوص صور اصطفااف عسكريّ ولا حرب منظمّة، كما لم تذكر أيّ احتكاك ومناوشات ولا حرب «شوارع وعصابات»!! وكلّ ما تفيدّه أنّ ثمة جمهوراً مختلطاً كان يتقلّب في تلك الساحة، اختلط فيه الحابل بالنابل، لم تحدّد فيه الجهات ولا الصفوف، وإنّما هو تجمّع ضخم على اختلاف الأرقام، لا يميّز فيه رجال صفّ الحقّ عن زبد الباطل، غير أنّه كان تجمّعاً تلى نداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فأخرج ابن الأمانة الفاجرة عسكره وراياته، وشرعوا بالتخذيّل من فوق سور القصور وعلى الأرض، وانفلت الناس وتبدّد الجمع منحسراً لئلاّ يحسب عند السلطة ضمن المتعاطفين مع الحقّ ورجاله.

ولا يخفى ما في هذه النصوص من قوّة من حيث ورودها في مصادر

(١) روضة الواعظين: ١٧٣ وما بعدها.

مهمة في التقييم عند المحققين من قبيل البلاذري والطبري والمسعودي وابن كثير وابن شهر آشوب والقتال النيسابوري وغيرهم ممن ذكرناهم.

المشهد الثاني: وقوع القتال الشديد

روى ابن سعد في الطبقات:

«... وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد» (١) ...

وروى ابن أعمش في الفتوح قال:

«وأقبل مسلم بن عقيل عليه السلام في وقته ذلك عليه، وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس ...

(١) الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير ابن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي! الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإن جنود أهل الشام قد أقبلت، وإن الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنكم العطاء، وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى منكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال أمرها.

قال: فلما سمع الناس ذلك تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل عليه السلام، ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم.

قال: ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرّق عنه العشرة».

ملاحظة في الخبر

نسمع في هذا الخبر وغيره خطابات أوباش الجرو المسعور ابن زياد من «أعلى القصر» وهو ينادي بأعلى صوته كما في خبر ابن أعثم! ولاندري كيف كان يوصل «كثير» وأمثاله أصواتهم إلى الناس، ويمكن أن يلاحظ على ذلك عدّة معوّقات تعيق وصول الصوت إلى الناس بسهولة، وبالتالي تعيق تصديق الخبر ببساطة:

العائق الأوّل: ارتفاع الجدران

كانت أسوار القصر عالية شاهقة مترامية الأطراف في اتّجاهاته الأربعة، ممّا يصعب وصول الصوت واضحاً مسموعاً إلى شريحة كبيرة من الواقفين على الأرض في تلك الساعة.

والمفروض أنّ أخلاط الناس وما يسمّونهم بعسكر المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لم يسمح لهم بالدنو من أسوار القصر، فلا بدّ أنّهم يقفون على بعد مسافة من أسوار القصر وأبوابه، لأنّ من كان فوق القصر كان يرميهم بالمدر والنشاب لئلاّ يقتربوا من القصر^(١)!

هذا لو لم نفرض أنّ القصر كان محاطاً بالحرس والشرطة وغيرهم من القوّات التي كانت تحمي عبّيد القروذ ابن زياد وقصره، وهو فرض محتمل

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

قريب معقول!

العائق الثاني: أصوات العسكر وتجهيزاته

كان الناس قد خرجوا إلى حرب - حسب الفرض - والخارج إلى قتال يخرج بعدته وعلى حدّ تعبير ابن أعثم «شاكوا السلاح»، فيهم الفارس والراجل، فصهيل الخيل، وقعقة السلاح، وجلبة الرجال، وارتطام السيوف بالدروع، وخشخشة حلقات المغافر، وغير ذلك ممّا يلزم اجتماع العساكر من ضجيج وجلبة وصخب وصراخ، يمنع ويجعل سماع المتكلّم القريب صعباً عسيراً، فكيف بمن ينادي من أعلى القصر؟!

العائق الثالث: أصوات الناس وتحركاتهم

اجتماع الناس في مكان واحد وتكاثرهم على موضع بذاته، وهم أمواج متحركة متداخلة متشابكة تغدو وتروح، وتتسلّل وترجع، وتدخل وتخرج، ويموج بعضها على بعض، ممّا يؤدّي إلى حركة يصحبها لغط وأصوات متداخلة.

فبين أصوات حوافر الخيل، واحتكاك النعل بالأرض، وبين اصطدام الرجال بعضهم ببعض وهم يتحركون ذاهبين راجعين داخلين خارجين تصطك آلائهم الحربيّة بعضها ببعض، وبين سهلة فرس، أو سعلة رجل، ونداء صاحب لصاحبه، أو أب لابنه، أو أمّ لولدها، أو زوجة

لزوجها، وغير ذلك مما يصدر من الناس إذا اجتمعوا في موضع واحد،
فإنها جميعاً تحدث ضجيجاً وصخباً يمنع من وصول الصوت إلى
المخاطب من أعلى القصر مهما كان صوته جهورياً مرتفعاً!

العائق الرابع: ضخامة العدد

مرّمعنا الحديث عن الأعداد المذكورة حسب الفرض، وهي أعداد
ضخمة تحتاج إلى مساحة شاسعة تستوعبها حوالي القصر، وتمنع من أن
يكون الجميع متراكماً في مكان محصور محدود.

وانتشار العدد على أرض واسعة يعرقل وصول الصوت إليها بين كل
تلك الجلبة والصخب والضجيج، فإذا سمع قوم - ولنفرض أنهم كانوا
قريبين من صوت المنادي من أعلى القصر-، فإن ذلك يحتاج إلى مدة
من الزمن تكون كافية للتواصل بين المتواجدين على الأرض حتى يبلغ
القريب منهم البعيد.

عودة إلى النصوص

قال السيد ابن طاووس في اللهوف:

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب
عبيد الله بن زياد، فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل
أصحابه وأصحاب مسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين

معه في القصر يتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم
ويتوعدونهم بأجناد الشام، فلم يزالوا كذلك حتى جاء الليل.
فجعل أصحاب مسلم يتفرقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما
نصنع بتعجيل الفتنة، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء
القوم حتى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة
أنفس، فدخل مسلم المسجد ليصلي المغرب» (١) ...

وقال ابن نما الحلبي في مثير الأحزان:

«ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره خرج بجماعة ممن بايعه إلى
حرب عبيد الله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا
البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً
شديداً إلى أن جاء الليل» (٢) ..

وفي تاريخ الطبري:

«قال حصين: فحدثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك
الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في
طريق يميناً ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون

(١) اللهوف لابن طاووس: ٥٤.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثيراً أحد، ولانسمع أصوات كثيراً أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربعم.

فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة» (١) ...

مناقشة الخبر

وهذا الخبر فيه مناقشات كثيرة، منها:

المناقشة الأولى: الخروج في الليل

إنَّ الخروج كان في الليل «لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار... فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة..»، وهو مخالف

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

للمشهور، بل ربما المتفق عليه.

المناقشة الثانية: حضور الجرو المسعور في القتال

أفاد هذا الخبر أنَّ الجرو المرتعش المطور ابن زياد نزل إلى المسجد وحصل القتال بحضوره، والحال أنَّه كان يخاف النزول، وأمر بجرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون..

المناقشة الثالثة: أخذ البطل الهاشمي أسيراً نفس الليلة

إنَّهم دخلوا على البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام نفس الليلة وأخذوه إلى ابن الأمة الفاجرة فأمر بقتله:

«فخرج مسلم فدخل داراً من دور كنده، فجاء رجل إلى محمد ابن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره، فقال له: إنَّ مسلماً في دار فلان!

فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنَّ مسلماً في دار فلان.

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلاه عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار... ثمَّ أمر به فضربت عنقه» (١) ...

(١) يفيد الخبر استمرار القتال إلى الليل، واستمرار المجموعة الباقية مع المولى
←

النتيجة:

نص ابن سعد أن القوة المقاتلة كانت زهاء ستين قال:
«فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس
واقْتتلوا قريباً من الرحبة...»
وهم في رواية الطبري زهاء خمسين:
«فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً...».

وعبارة ابن نما قريبة جداً من عبارة السيد، وعبارة السيد قريبة من
عبارة ابن أعثم، وهو الأقدم، وكلهم أجملوا ونصّوا على أصل القتال ولم
يتعرّضوا لذكر العدد المقاتل، فيمكن أن تحمل عبارتهم على وقوع القتال
بين العدد الذي لا يزيد عن ستين على كل الاحتمالات.
فيكون الذين قاتلوا قتالاً شديداً هم العدد الذي نصّ عليه ابن
سعد أو الطبري في إحدى رواياته.

معركة قوامها - على أقصى التقادير - ستون رجلاً!

المشهد الثالث: مناوشات السور دفاعاً عن القصر

قال الدينوري في الأخبار الطوال بعد أن ذكر تقسيم الرايات:

الغريب مسلم رحمته الله بالقتال دفاعاً عنه.

«فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتّبعهم هو في بقيّة الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشرف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدّر^(١) والنشاب^(٢)، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا.

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشرف! أهل الكوفة: ليسرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم...

فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم فترا بعض الفتور. وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع. فصلّى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلاّ زهاء ثلاثين

(١) المدّر: قطع الطين اليابس. انظر: لسان العرب، مجمع البحرين، العين.

(٢) النّشاب: التّبّل والسهام. انظر: لسان العرب.

رجلاً» (١) ...

وأما ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله من حصول الرشق بالحجارة، فإنه نفس خبر عبد الله بن حازم الذي رواه الطبري غير أن الشيخ رحمه الله قال: «وجعل من في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون!! على عبيد الله وعلى أبيه ...» (٢).

وعبارة الطبري:

«وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه ...» (٣).

ويلاحظ التفاوت الشديد بين النصين بالرغم من أنهما رواية واحدة، وعبارة الشيخ المفيد فيها ارتباك واضح، وعبارة الطبري تفيد الخوف من وقوع الرمي بالحجارة والشتم، لا أكثر...

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٣، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٤٨.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

النتيجة:

حصيلة عبارة الدينوري أنّ كلّ من كان في القصر «كانوا مقدار مائتي رجل» وكذا محصّل عبارتي الشيخ والطبري.

ولم يكن الاشتباك بين من كان على سور القصر ومن كان في الخارج مباشراً، ولم يتحقّق بينهم قتال والتحام. ورمي الحجارة من الأرض إلى أعالي سور القصر على ارتفاعه وتحصّنه لا أثر له البتّة.

ورمي الحجارة والنشاب من أعلى السور باتجاه المتواجدين على الأرض لم يكن قتالاً، وإنّما كانوا «على سور القصر يرمون القوم بالمدّر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا» (١).

فهم لم يشتبكوا مع القوم، وإنّما كان الخوف يدفعهم لاتّخاذ إجراء يمنع القوم من الدنو من القصر، ليس إلّا.

على أنّ ما يسمّى «المواجهة» كانت بين شرذمة على السور وجماعة على الأرض لو اعتمدنا رواية ابن سعد والطبري لا يتجاوز عددهم الستين ...

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

ولو اعتمدنا النصوص المتعلقة بهذا المشهد، فهم خليط من الزبد الذي تدفعه التهديدات الفارغة، وتفتته دعوات الأقرباء الواهية ... وكيف كان! يبدو أنّ من العسير جداً تصوير معركة وحرب من هذا المشهد.

المشهد الرابع: قتال مسلم عليه السلام حتى الأسر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»^(١)..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

«ووجه - أي ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجربرجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتته إياه»^(٢)..

النتيجة:

إنّ هذا المشهد يختلف تماماً عن المشاهد السابقة حيث أنّه لا يروي

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوب: ٢ / ٢٤٣.

تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً، ولا يخفى ما لهذه المصداق من ثقل وقدم..

ويلاحظ أنّ عبارتي ابن قتبية واليعقوبي كلاهما ترويان القتال بصيغة المفرد، وتنسبان القتال للمولى الغريب وحده.

وسياتي الكلام في هذا المشهد في دراسة لاحقة إن شاء الله.

المشهد الخامس: مشهد خاص

قال لسان الملك سبهر في ناسخ التواريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام:

«نظرت وبحت - وأنا أسطر هذه الصفحات - في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ المفيد، وكتاب ابن شهر آشوب، وكتاب إعلام الوري، وبحر اللثالي، والفي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمة، وكتاب تذكرة خواص الأئمة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمة، وكتاب اليافعي، وكتاب الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلّدات العربيّة والفارسيّة التي ألّفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم

أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمّد بن كثير في نصرّة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولمّا كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن اسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج من الكوفة وهو لا يعرف الطريق فضى يطوف في بعض الأزقة فرآه سعيد بن الأحنف فعرفه فقال له: إلى أين يا سيدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هذا البلد إلى مأمن، حتى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصروني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجنًا مقفلاً، وأحاطوا بك، وملأوا الأزقة والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك.

فقال مسلم: فإذا ترى؟

قال: تعال معي حتّى أدلك على الطريق وأهديك إلى مكان

تأمن فيه.

فجاء به حتى وقف على باب دار محمد بن كثير، فنادى: يا محمد بن كثير أسرع واستقبل مسلماً.
فخرج محمد من الدار مسرعاً واستقبل مسلماً استقبالاً مبجلًا،
وحمد الله على ما أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله
إلى بيته وجعله في موضع لا يدخله أحد غيره، وهياً له ما
يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأرقعة والمحلات
ويدخلون كل موضع ومكان بحثاً عن مسلم بن عقيل،
فكأنهم أحسّوا بموضعه فأرسلوا إلى ابن زياد يخبرونه بذلك،
ففرح ابن زياد فرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مع فوج
من الجنود ويحاصروا دار محمد بن كثير، ويهجموا عليه
مغافصة وعلى حين غرة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا
أنصار، فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا
سيفاً ولا سفكوا دمًا، فأرسلوا بهما إلى ابن زياد، وفتشوا البيت
فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلما سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي
عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشرف

الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لإنقاذ محمّد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقّون الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غداة الغد لقتال ابن زياد.

فلما أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة آلاف رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل إلى محمّد بن كثير.

فلما حضر عنده سبّه وشتمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمّد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما لا يليق بك، فإنّي أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينما كان محمّد يتكلّم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصمّ الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل - أو ما يقرب من ذلك - قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا ابن كثير أقسم بيزيد أن ليس على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربن عنقك.

فقال له: أنت أحقر من أن تمسّ شعرة منّي.

فسكت ابن زياد، وأطرق برأسه إلى الأرض، وكنم غضبه، وفكر في عواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا ابن كثير! أيهما أحب إليك أهلك وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا ابن زياد إن الله حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت أمامه فرمى بها محمدًا، فأصابته في جبهته فشجته، وسال الدم على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول إليه.

فلما رأى معقل! ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما ذكرنا، حمل على محمد فوثب عليه محمد كالليث الغضبان وضربه بسيفه فقطعه نصفين.

فلما رأى ابن زياد إقدام محمد وشجاعته تنحى جانباً ونادى بغلمانه: اقتلوه ولا تبقوه. فأحاطوا به من كل جانب وتكاثروا

عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنّه عشر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أما ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول إلى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط شهيداً. وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجبون ويتأهبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بها إلى الناس ليرونهم، فيفتّ في عضد المقاتلين، ويحمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنّهم استمروا في القتال حتّى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كلّ واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلما سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكانه في دار محمد ابن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على

وجل من أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرّق جنده - وهم اثنا عشر ألفاً - في شوارع الكوفة وأزقتها ومناطقها، فلم يترك محلة إلا وجعل فيها جماعة من عسكره، سيّما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلما خرج مسلم لفته جماعة من الحراس فسألوه: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!! فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى - في طريق آخر حتّى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله ابن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشاميّ في ألفي رجل، فمرّ مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدّادين، فراه رجل يقال له: الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلا مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدّادين

ويَتَّجِه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلَمَّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فاتبع الفرسان الجواد حتى لحقوه في محلة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن ويشدّدوا على الخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلّنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فقطع بذلك المتهافتين على الذهب والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أترفيه الجوع والعطش، حتى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يمناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى

مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمر من زقاق إلى زقاق حتى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فناءه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها: طوعة» (١) ...

* * * * *

كذا هي القصة بتفاصيل فريدة رواها سبهر عن ابن الأعمش، غير أن الطبقات المتوفرة لفتوح ابن الأعمش - بل ولا في مصورة النسخة المخطوطة التي عندنا (٢) - لا تفيد أي إشارة إلى هذا الخبر بحيث يحتمل المراجع أن حذفاً ما قد وقع في النسخ المطبوعة، وهو حسب المطبوع والمصورة يروي الخبر مسترسلاً متواصلاً ضمن مجريات الأحداث التي يرويها كما نقلناها عنه في ثنايا البحث، ولسان الملك

(١) ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيد علي أشرف: ١ / ٢٨٤.

(٢) تفضل علينا أخونا الشيخ عادل بن الحاج حميد الخزاعي بمصورة لنسخة مصورة من كتاب الفتوح لابن أعمش موجودة في جامعة الكويت تحت رقم ٣٢٧٢ م. ك ومصدر المخطوطة مكتبة تشستريتي في دبلن - إيرلندا، تاريخ النسخ ١١٩٤ هجري، فجازه الله خيراً.

سبهر نفسه يذكر كتاب ابن أعثم ضمن الكتب التي راجعها فلم يجد القصة فيها، فيقول:

«نظرت وبحثت وأنا أسطر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار... وكتاب أعثم الكوفي... وفي مئات الكتب والمجلدات العربيّة والفارسيّة التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصة تدخل محمد بن كثير في نصره مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي».

ثمّ يستدرك ويقول:

«ولمّا كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسّف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار...».

ومن يعرف منهج لسان الملك سبهر في الكتابة تكاد المسألة تكون واضحة عنده، فإنّي قد ترجمت له - بحمد الله - كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام وكتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام من الناسخ، وهو أربعة أجزاء في مجلدين، وتعقبت منهجه وطريقة نقله من المصادر حيث يعتمد مصدراً معيّناً فينقل عنه، ولكنّه ينسب ما ينقله عنه للمصدر

الأصليّ الذي ينقل عنه الكتاب المعتمد لديه.. فهو ينقل من البحار وينسب ما ينقله لمصدر البحار مباشرة دون الإشارة إلى البحار اعتماداً منه على العلامة المجلسي وثقة به.. فتجد مصادره متنوّعة إذ يروي عن الأمالي والخصال وشرح نهج البلاغة وهكذا، وهو في الحقيقة لم يراجع سوى البحار وينقل ما فيه فقط..

وربما كان هذا هو السبب في نسبة ما يرويه في هذه القصة إلى ابن أعثم، حيث أنّه راجع «روضة الشهداء»^(١) للواعظ حسين الكاشفي (ت ٩١٠ هـ) المتفرد بنقلها بحذافيرها، وهو يرويها مرسلّة دون الإرجاع إلى مصدر أو إسناد، ويروي قبلها خبراً عن ابن الأعثم ثمّ يقول: «قال الراوي»، ويأخذ بسرد هذه القصة، فظنّ لسان الملك سبهر أنّ هذه القصة وقول هذا الراوي استمراراً لما رواه الكاشفي عن ابن الأعثم فنسبه إليه...

ويبدو أنّ ما في القصة يغني عن نقدها، وقد ترى في ما مرّ من البحث من المناقشات ما يجري هنا أيضاً.

ونحن إنّما نقلناها هنا لتكون قد استوعبنا كلّ المشاهد التي ظفرنا بها خلال تتبّعنا لمعركة القصر، فربما رسمت صورة للقارئ يمكنه أن يستفيد

(١) روضة الشهداء للكاشفي ترجمة السيّد محمّد شعاع فاخر: ٤٤٢.

منها.

مشهد المشاهد

لوتأملنا النصوص الواردة في المشاهد المتصورة آنفاً، نجد أنها بين من لم يكن للقتال والالتحام والمواجهة المسلحة أي ذكر ولا أثر، وبين من ذكرها في صورة لا يمكن أن يصدق عليها القتال والحرب والمعركة والمواجهة المسلحة التراشق بالنبل والمد من فوق القصر.

أما التي ذكرت القتال فهي إما ذكرته على نحو الإجمال، وهي من مصادر الدرجة الثانية التي تروي عمن سبق، والتي ذكرت القتال من مصادر الدرجة الأولى صرحت بالعدد المقاتل وهو في أقصى تقاديرها لا يتجاوز عدد «الستين»، وكانت أخبارها قابلة للمناقشة بما سمعناه أثناء رسم المشاهد، فمن الصعب - والحال هذه - تصوير حرب دارت على تخوم القصر أو رسم مشهد معركة طحنت رجاها الرجال من أجل اقتحام القصر أو غيره من الأغراض، فإطلاق اسم الحصار على ما حدث ربما كان أصدق وأوفق، لو تم.. والله العالم!

ويبدو لنا من خلال التأمل في النصوص التاريخية أن القتال الدائر في المسجد الأعظم أو في أطرافه إنما كان قتالاً يستهدف شخص المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام بالقتل أو الأسر.

وبهذا يمكن الجمع بين المصادر التي نصت على وقوع القتال

«المحدود»، والمصادر التي نصّت على تفرّق الجمع دون أيّ قتال يذكر،
والله العالم.

نهاية الحصار (١)

كيف كان! فقد انتهى الحصار ليلاً، وتفرّق الجمع وولّى الدبر، وانحسر المدّ بعد حين ولم يدم طويلاً، إذ جرى كلّ ما جرى من تحشيد وتفريق في ساعات معدودة لا تزيد عن يوم أو بعض يوم.

هذا لو كان ثمة حصار ولم يكن الأمر هو مجرد اجتماع وتفرّق حصل نتيجة النداء وردود الفعل الحاصلة من الحركة الهاجّة المتولّدة من الأمواج المتداخلة أثناء الاجتماع والتفرّق والدخول والخروج من تلك الساحة المحدودة في منطقة محصورة حوالي القصر والمسجد الأعظم.. بيد أنّ هذه الحركة سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة فإنّها قد يصدق

(١) لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإمّا نقصد تجمّع الناس في رجة المسجد والقصر.

عليها الحصار لأنه قد حصل على كلّ حال من الازدحام وتدافع الرجال والعوائل المخدّلة وتراكم الناس حول قصر الخبال..

وهنا سترك الجموع ونتابع - في البحث القادم إن شاء الله تعالى - من لا تساوي كلّ تلك الجموع شسع نعله، نعني المولى الغريب سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولكن نشير هنا - قبل المضيّ مع المولى الغريب عليه السلام - إلى موقف ابن زياد في المعركة ...

موقف عُبَيْد القُرُود ابن زياد أثناء الحصار

إِتنا نعرف ابن زياد - كما عَرَفَه التاريخ ورسمه لنا - فهو جبان متناهٍ في الجبن.

قال عنه الحسن البصري:

«وكان عبيد الله جباناً» (١) ..

وهذا لا يمنع أن يكون سفيهاً بطاشاً لا يتورّع عن دم، فهو جبان في حال ضعفه، وجبان إذا انفرد، لكنّه كان شرساً متوحّشاً سفاكاً للدماء إذا تمكّن وأمن.

قال فيه الحسن البصري:

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

«أمره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً» (١) ..

وسنراه بعد قليل يمتنع عن الخروج إلى المسجد، ويأمر بإنزال المشاعل لاستكشاف ما تحت الظلال!! هذا والحرس يحيطون به من كل مكان ...

ويمكن أن نستعرض موقف الجرو المسعور ابن زياد وطريقة تعامله مع التجمع أو الحصار أو المعركة، وذلك في عدة عروض:

العرض الأول: موقفه قبل الحصار

كان ابن زياد قد تسلق الأعواد في المسجد الأعظم محفوفاً بأفراده عن اليمين وعن الشمال يحملون الأعمدة والسيوف المسللة، وكان يزيد ويرعد، إذ جاءت النظارة فحذّرت من قدوم الأسد الطالبي، فتزلّقت أقدامه عن الأعواد، وأسرع يسابق قدميه وزحف كالحيّة المذعورة إلى جحره في قصر الخبال وأغلق الأبواب!

فرمى مجرد أن أخبره النظارة أنّ البطل الحسيني ابن عقيل قد أقبل، ولم يسعه جنبه أن يتربّص فوق ناقة أو أقلّ من ذلك حتّى يتحقّق الخبر.

قال ابن أعثم في الفتوح:

«وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسللة، فقال: أما بعد يا أهل الكوفة ...

قال: فما أتم عبيد الله بن زياد الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟

ف قيل له: أيها الأمير! الحذر! الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل! ...

قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً، وبادر فدخل القصر، وأغلق الأبواب» (١) ..

وروى الطبري في التاريخ وأبو الفرج في المقاتل (٢):

«عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بن علي الهمداني قال: لما ضرب عبيد الله هائناً وحبس، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشرف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ...

فذهب لينزل، فما نزل حتى دخلت النظارة المسجد من قبل

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، مقاتل الطالبين: ١٠٣.

التّمارين يشتدّون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق بابه».

* * * * *

المفروض أنّ الدعيّ الرعديد المدعوب «الأمير»! كان يخطب في الناس، يهدّدهم ويتوعّدهم وهو يرعد ويبرق ويزججر محاطاً بالحرس والسيوف تلمع عن يمينه وشماله، وقد دخل الكوفة ليلقي القبض على البطل الهاشميّ فيقتله أو ينفيه، فما باله انسلخ من تلك الأعواد بسرعة ودخل القصر وأغلق عليه بابه؟!؟

وما باله أدبر وولّى فارّاً خائفاً مرعوباً وجلاً مذعوراً مرتبكاً مرتجفاً، إذ أقبل إليه المولى الغريب ﷺ؟! وهو يطلبه ومأمور بالقبض عليه؟! وإتّه فرّ لخبر إقبال الليث العقيليّ، فماذا كان يصنع لو واجهه، ولو كان المولى مسلم ﷺ قد وصل بالفعل إلى المسجد؟!؟

العرض الثاني: موقفه أثناء الحصار

دخل القصر وترك الناس الذين كان يخطب فيهم ويتوعّدهم وراءه! واختلط هنا الناس اختلاطاً حسب مجريات الأحداث، إذ كان أتباع ابن الأمة الفاجرة يستمعون إليه، فدخل عليهم الأسد الهاشميّ مسلم ابن عقيل ﷺ ..

دخل القصر وكان غاية همّه وهَمَّتِه أن يستمسك بالقصر، وأجبر بعض الناس على البقاء معه استيحاشاً، وكلّما أصرّوا عليه وقالوا له: إنّ الذين معه كثير، فليخرج بهم رفض وأبى، وخاف من الخروج. والحال أنّ فارس الكوفة وبطلها انطلق إلى الميدان بنفسه يواجه جموع العساكر رغم خذلان الناصروفرار الحاضر. روى الشيخ المفيد في الإرشاد وغيره قال:

«وجعل محمّد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهليّ وشبث بن ربعي يردّون الناس عن اللّحوق بمسلم، ويخوّفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الروميين ودخل القوم معهم.

فقال له كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله؟! وعقد لشبث بن ربعي لواءً فأخرجه...»

تبّاً لشُرذمة يكون هذا أميرهم، يدفعونه ويشجّعونه ويتوسّلون إليه أن يتماسك وهو في من يسمّونهم أشرف الناس والشرطة والموالي ثمّ يتراجع ويأبى، فهم يدفعونه ليخرج وهو يرجع القهقري وينطوي على

نفسه وينكمش في جحره انكماش الجرذ بين يدي الأسد المهصور..

العرض الثالث: بعد انتهاء الحصار مباشرة

سمعنا قبل قليل كيف يشجّعه أصحابه ليخرجه من جحره، فيقولون له: «معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم» فيأبى الجبان دون أيّ خجل! فهو يخاف من الخروج بالرغم من وجود الشرطة والحرس وكثير من وجوه أهل الكوفة وقادة العسكروأفرادهم معه، وأبى أن يخرج إلا أن يستكشف المسجد، وتدلى شعل النيران خوفاً من الكمين.

روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

«ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ لَمَّا فَقَدَ الْأَصْوَاتَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْمَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: انظُرُوا، هَلْ تَرَوْنَ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ وَكَانَ الْمَسْجِدُ مَعَ الْقَصْرِ.

فَنظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا، وَجَعَلُوا يَشْعَلُونَ أَطْنَابَ الْقَصَبِ، ثُمَّ يَقْذِفُونَ بِهَا فِي رَحْبَةِ الْمَسْجِدِ لِيُضِيَءَ لَهُمْ، فَتَبَيَّنُوا، فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا...»

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد» (١) ...

(١) الأخبار الطوال: ٢٣٨.

وروى الطبري والشيخ المفيد وغيرهما، واللفظ للأول:

«ولما طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً! فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!

ففرعوا بجراح المسجد^(١)، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان^(٢) تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلّي، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر.

فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه»^(٣)..

(١) في الإرشاد: «فنزعوا تحتاج المسجد».

(٢) في الإرشاد: «وأطناب القصب».

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٦.

لو كان الجبن متمثلاً في شخص لما كان يعدوا ابن الأمة الفاجرة، إنها صورة تنم عن بشاعة الجبن في مخلوق يزعم أنه يتولّى شؤون الأمة ويقود العساكر ويواجه الرجال.. صورة رائعة لكل من أراد أن يضرب للجبن مثلاً طول التاريخ!

العرض الرابع: بعد أن اجتمع الناس عنده

بعد أن خرج الجرد المتضائل المطور إلى المسجد وأمر المنادي أن ينادي في الكوفة أن برئت الذمة من العرفاء والشرطة والناس أجمعين!! إن لم يحضروا العتمة في المسجد.

فحضروا واجتمع إليه شياطينه من كل مكان، وهو مع ذلك يخاف من ظله، ويأبى أن يصلي بالناس إلا أن يوقف الحرس وراءه..

قال الطبري:

«... فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة... ثم أمر مناديه

فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت

بالناس، أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر،

فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك!

فقال: مرحرسي فليقوموا ورأيي كما كانوا يقفون، ودر

فيهم» (١) ...

بعد أن تبَيَّن خلوّ المسجد من ضجيج الناس ومن كانوا يحسبون على المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وبعد أن خرج تحفّه السيوف والحراب والشرطة والحرس، وبعد أن أزيد وأرعد وهدد وتوعد، وهو وشرطته مع كلّ هذه الظروف لا زالوا يخافون، فاقترح عليه رئيس شرطته أن يصلي في القصر بعيداً عن الناس وفي مأمن لا تناله الأيدي، ولكنه رغب في الصلاة في المسجد بشرط أن تكون الحماية متفرّغة لحراسته وحمايته، ويبقى الحصين يدور في الحراس ليراقبهم ويرقب الموقف عن كثب وتتبع..

صورتان خاطفتان

إنّ ممّا يحزّ في القلب، أو يثير السخرية أن يضطرّ الباحث للمقارنة بين شمائل البطل الهاشمي والهزبر الطالبي الشجاع الشهم سفير خامس أصحاب الكساء مسلم بن عقيل عليه السلام وطبائع الجرو الأمويّ والجرذ المبلّل وبقية الذنب المبتور من القرد المخمور ابن زياد..

بيد أنّ التاريخ لوّث صفحات الكتب وبعثر شذرات الدرّ في مزابل غابة القُرود الأموية التي وسعت فترات من تاريخ البشر، فاضطرنا إلى

الإشارة هنا من بعيد لنقارن من خلال العروض الأربعة فقط التي ذكرناها آنفاً لينكشف زيف ما رسمه المؤرّخ وبطلانه وتكذيبه من خلال عبارته والأحداث التي رواها بنفسه.

فقد رأينا في العرض الأول موقف ابن الأمة الفاجرة وموقف الطاهر الطاهر مسلم بن عقيل، إذ كان الأول في عنفوان زهوه وتغطرس تحفه كلابه فانهزم لمجرّد سماع نبأ قدوم الأسد الطالبيّ فانهجر.. فمن كان خائفاً حينئذٍ؟

ثمّ رأيناه في العرض الثاني أثناء الحصار التصق كجرو مرتعش بجدران القصر وهو يقرض ذيله وتدور عيناه في رأسه من شدة الصدمة وخوف المنقلب ومجهوليّة المصير فبقى ذاهلاً ونسي.. أنّه الأمير الوالي فانقلب كسلاحفات تجمع أطرافها داخل درعها لثلاثى شيئاً وأبى الخروج رغم وجود الأعوان والأنصار.

فيما كان البطل الهاشمي واليثة الطالبيّ يباشر مهامه بنفسه في الميدان رغم فقدان الناصر وفرار الحاضر وخذلان الناس.. فمن كان خائفاً حينئذٍ؟

ورأيناه في العرض الثالث بعد تفرّق القوم عن المولى الغريب عليه السلام وفراغ الساحة من التهديد يأبى الخروج إلّا بعد أن يمسح المسجد مسحاً دقيقاً شاملاً، ثمّ لا يخرج إلّا بحماية خاصّة وإحاطة تامّة.. والبطل

الهاشمي يمضي ليعدّ العدة للمواجهة الأخيرة ثمّ يستقبل الموت استقبالاً بعد أن أذاق الجرو وأذنبه الويلات وجعلهم شرادمة تتكدّس أشلاؤهم وتتحطّم جماجمهم ويفرّ من بين يديه صناديدهم، وهو وحده.. وحده.. وحده.. لا ناصر له ولا معين.. فمن كان خائفاً حينئذٍ؟

وأخيراً رأيناه في العرض الرابع بئساً رعيدياً جباناً خائراً يحاول أن يتماسك لئلا ينكشف جنبه أمام الملاء فيصليّ محاطاً بأشدّ الحراسة يحفّهُ السلاح والرجال.

والحال أنّ فارس آل عقيل صلىّ وحده واثقاً مطمئناً والأعداء يحيطونه من كلّ مكان، كما تذكر الرواية.. فمن كان خائفاً حينئذٍ؟ هذا نموذج عابرومثال من مشهد واحد، وللمتأمل أن يتابع هذه النماذج في حياة الجرو المرتعد، وحياة سفير خامس أصحاب الكساء ليجد أن لا مجال للمقارنة بتاتاً.. وشتان بينهما..

ونعود لنكرّر اعتذارنا من ساحة الطهر الأقدس المولى المعظم المكرّم مسلم بن عقيل عليه السلام ممّا تجاسرنا به في حضرته من خلال هذه المقارنة بيد أنّ الصورة التي رسمها المؤرّخ اضطرتنا لذلك، حيث أنّه عرض المشهد مقلوباً ونسي أنّه أفلت هذه الصور التي تفضح كذبه وتكشف زيفه إذا اصطادها الباحث بأدنى تأمل.

عوامل الخذلان

ظاهرة انهيار المجتمع الكوفي وخذلان المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، ثم تخاذلهم عن نصره ریحانة النبي صلی الله علیه وآله تركت فجوة كبيرة صعب على الكتّاب والمحلّلون ردمها واكتشاف أسبابها، لأنّها تبدو للوهلة الأولى مفاجأة غير متوقّعة، وانقلاب سبق التصرّوات، وقفز على الزمن، واختزل الموقف.

وغالباً ما نقرأ في تحليل هذا الحدث الذي يبدو مفاجئاً التأكيد على ازدواجيّة الشخصيّة والشلل النفسي وحالات النفاق التي امتاز بها المجتمع الكوفي يومذاك، ولا ريب أنّ لهذه العوامل دور فاعل ومؤثّر جداً في رسم المشهد.

وربما جرّ الكلام للتأكيد على أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قد استعجل القيام تحت قهر الضرورة أو خرج بالقوم قبل أن يستكمل

تربيتهم وتأديبهم وتعميق إيمانهم، وتصفية قلوبهم، وما شاكل من التحليلات التي تؤدّي بالمآل إلى التجاسر على قدس المولى المعظم، وترك خدوشاً مؤلمة في ساحته المطهرة.

ويمكن أن نقرأ الموقف قراءة جديدة نحاول من خلالها بيان أن ما جرى لم يكن مفاجأة من دون أي سابقة، وإنما كان نتيجة واضحة ومعروفة، وأمر لا يعدّ حادثاً خلقت ظروف القهر والاستبداد والخوف والرغبة وتقلّبات الأحداث الآنية وحدها فقط.

والفرق بين أن يكون الإنسان عازماً على الحق ومنقلباً عليه شاسع لا تسعه تلك الفترة الزمنية الوجيزة التي ربما حصرت بالساعات. وفرق أيضاً بين أن يكون الإنسان قاصداً للحق ثم ينحرف عنه، وبين أن يكون منحرفاً لا يقصد الحق بتاتاً، وإنما يدخل دائرته لتحقيق باطله والوصول إلى مآربه.

ولعلنا سوف نرى من خلال البحث أن بعض الشرائع لم تكن تعاني من الشلل النفسي، ولا من ضعف الإرادة، بل هي مصرة ثابتة على الباطل، وقاصدة عامدة قد بيّنت عزمها على سلوك طريق الحق لتصل إلى باطلها.

فلا مفاجأة في انتقالها من اليمين إلى الشمال إذا عرفنا أنها كانت منذ البداية من تلك الزمرة.

وربما كانت بعض الشرائح قد تأثرت بالظروف ومجريات الأحداث. ولكننا سنرى أنّ هذه الظروف التي يسمّونها: «الظروف المؤثرة» لم تك وليدة الساعة - أي ساعة التخاذل - بل كانت لها خلفيات وسوابق وامتدادات (١).

وربما كانت بعض الظروف قسريّة لم يعبأ بها البعض واضطرّ للاستسلام لها «من قبيل هبوط الظلام»، لعدم وجود مندوحة أخرى، بيد أنّه أصيب فيما بعد بالأمراض التي ابتلي بها المجتمع، كما ذكرها المحلّلون من قبيل الشلل النفسي وضعف الإرادة وغيرها ... أو أنّه رجّح أن ينحاز إلى جبهة الحقّ في ركب الفتح الحسيني.

ولكي نتعرّف إلى تفاصيل الحدث ينبغي أن نعرف أولاً حقيقة البيعة التي بايعوا بها، إذ يتبيّن أنّ المشكلة كانت كامنة فيهم منذ اللحظة الأولى، ثمّ دوافع البيعة، والمثبطات.

العامل الأوّل: حقيقة البيعة

لا نريد هنا الدخول في التفاصيل وذكر الشواهد والأدلة والأقاويل، وإنّما نكتفي بالإشارة السريعة، وربما تجد في فقرات دوافع البيعة بعض ما يشرح ما نقصده بهذا العنوان.

(١) انظر ما سبق بيانه: «متى بدأ التخذيل؟».

وخلاصة القول في حقيقة بيعة الذين غدروا المولى الغريب مسلم ابن عقيل عليه السلام وتركوه وانصرفوا إلى جهنم وبئس المصير:

أنهم لم يبايعوا بيعة عقائدية للإمام المعصوم عليه السلام اعتقاداً منهم بإمامته، وأنه إمام مفترض الطاعة صديق، أمره أمر الله، ونهيه نهى الله، وأنه منصوب من قبل الله منصوص على إمامته.

فإن أكثر من بايعوا - كما مر معنا في البحث سابقاً - كانوا من أتباع العجل والسامري وغيرهم من الرعا.

وهؤلاء لم يعرفوا الإمامة، ولا الإمام، ولذا بين لهم سيد الشهداء عليه السلام باقتضاب فصيح من هو الإمام كما سنسمع بعد قليل.

فهم يبايعون البيعة التي يعرفونها هم باعتبارهم عسكريون وعسكريون يعيشون في ثكنة تلزمهم بإظهار الطاعة لمن يؤمر عليهم، كأبي عسكري يعيش حالة الطاعة المطلقة للأمر، وبالنحوص إذا كان يوقرهم الغزو والغنائم التي اعتادوا عليها في حياة البداوة من قبل.

وهم قد بايعوا في فترات متقاربة سليل الأنبياء الإمام الحسين عليه السلام، ثم بايعوا ابن الأمة الفاجرة، ثم بايعوا المختار، ثم بايعوا مصعب بن الزبير، وهكذا دواليك ...

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كل يوم بعلاً^(١). أي أنهم بايعوا سيّد الشهداء عليه السلام على يدي سفيره تماماً كما يبايعون أي شخص آخر يمكن أن تجمعهم به مصالحهم ومآربهم وضرورات حياتهم وما شاكل، من قبيل بيعة رجل القبيلة وبيعة التحالف الاجتماعي الذي يقنعهم أن فيه ما يؤمن لهم عيشهم، وغيرها من الأغراض التي قد تدعو لمبايعة شخص أو جماعة ما، ولنا أن نفترض أي فرض سوى فرض البيعة الشرعية التي أمر الله بها عباده المؤمنين في يوم غدیر خمّ ..

ولاندري من أين استفاد بعض المحققين الأعلام نصّ البيعة التي أخذها المولى الغريب عليه السلام مسلم بن عقيل على الناس، وأنها «على حدّ البيعة التي أخذها رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوس والخزرج في العقبة الثانية، وفي يوم الفتح، وأخذها من المسلمين يوم الغدير وأخذها أمير المؤمنين يوم بويج وأخذه الحسن من أهل الكوفة بعد شهادة أبيه الوصي ...»، فإتنا لم نجد لها أثراً في كتب التاريخ المتوفرة لدينا على كثرتها، كما أفترهو بنفسه بذلك فقال:

«وإنّ المؤرّخين وإن أغفلوا نصّ البيعة التي أخذها مسلم عليه السلام

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيّد المقرّم: ١٧٩.

من الكوفيين كما أغفلوا الكثير من آثار أهل البيت عليهم السلام التي تستفيد الأمة منها تعاليم راقية في التهذيب والإصلاح، لكننا نقطع بأن داعية إمام الحق لم يتخطَّ طريقة النبي وخلفائه المعصومين المقيضين لإرشاد البشر بما يجب عليهم من أمر الدين والدنيا، وأنهم كانوا في أخذ البيعة على هذا النهج» (١).

ونقول بكلّ خضوع وأدب: إنَّ في هذا المجزم مجال واسع للمناقشة ليس هذا محلّه، إذ أنّ كلّ مشهد وموقف كانت بنود البيعة فيه غير ما في الموقف الآخر، من جهة، وأنَّ الناس لم يبايعوا أئمة الهدى ببيعة الغدير سوى ما حصل يوم الغدير نفسه بأمر النبي صلى الله عليه وآله حيث بايع كلّ من حضرو في نفوس الكثير منهم شيء من ذلك..

وما حدث في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد ملك الثالث لم يطالب به مولى الموحدّين وإنّما اختاره الناس وأباه الإمام عليه السلام، ولو كان الناس يبايعونه ببيعة الغدير لما أبى - فداه العالمين -، إذ أنّه التعيين والتنصيب والتكليف الصادر من ربّ العالمين، والقوم إنّما يبايعونه على طريقة السقيفة وباعتباره خلفاً لأئمّتهم لا خليفة منصوباً من قبل النبي صلى الله عليه وآله.

(١) انظر: الشهيد مسلم بن عقيل للسيد عبد الرزاق المقرّم رحمته الله، تحقيق رسول كاظم

ومع ذلك فإنَّ من العسير أن نجد شاهداً على صيغة البيعة التي بايع بها الإمام أمير المؤمنين في خلافته الظاهرية أو بايع بها الإمام الحسن الأمين القوم الذين خذلوه في أيامه الأولى بعد شهادة أبيه ..
وبكلمة: فإنَّ الناس بايعوا وفق سجيّتهم وتعاليمهم التي أدبتهم به السقيفة في اختيار الحاكم، ولم يبايع منهم أحد بيعة على غرار بيعة الغدير بحيث تكون بيعته امتداداً وتجديداً لتلك البيعة .. نكتفي بهذا القدر، ولإثبات ذلك موضع آخر.

العامل الثاني: دوافع البيعة

لا يشكّ من يطالع التاريخ أنَّ المجتمع الكوفيّ كان مزيجاً غير متجانس، وخليطاً عجيباً متشابكاً ينطوي على شرائح وطبقات وطوائف وجماعات وأطياف وألوان اجتماعية تنتشر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في الديانات والمذاهب والطوائف والانفلات والاعتدال والتطرّف والتدين والالتزام بالقيم والانحراف ... وتشكّل الأكرثية الغالبة فيه من غير الموالين لأهل البيت ﷺ من قبيل الخوارج وأتباع العجل والسامريّ والجمل وصاحبه.

وقد أشبع الكتاب والمحقّقون والمحلّلون هذه النقطة بحثاً وتنقيباً ولفاً ونشراً ...

بيد أننا نريد أن نوّظف هذه الظاهرة لاكتشاف الدوافع التي حرّكت

هذه المجموعة بكلّ أطيافها ومكوناتها وتشعباتها وتشابكاتها وتقاطعاتها
بأنحاء سفينة النجاة ورحمة الله الواسعة عليه السلام، وجعلتهم يطوفون بشكل
يثير الاستغراب والتعجب حول ثقة الحسين المولى الغريب مسلم بن
عقيل عليه السلام.

والمفروض أن يكون هذا الانسجام الظاهريّ المزيّف خارجاً عن
المألوف، وهذا الالتفاف حول سيّد شباب أهل الجنتّة عليه السلام من قبل
سكّان طبقات جهنّم والنيران غريباً يثير العجب والاستغراب.

قال الإمام الحسن عليه السلام محبباً سفيان بن أبي ليلى الخارجي حينما
دخل عليه وتكلّم بمحضر الإمام عليه السلام بكلمات تنمّ عن كفره ونفاقه
والعفن الذي طفع من قلبه، وأبدى جفاء وجهله وعناده ونصبه
بجّة التحريض على قتال معاوية ورفض الصلح، فأجابه الإمام عليه السلام
قائلاً:

«ويحك أيّها الخارجي، لا تعنّفني فإنّ الذي أحوجني إلى ما
فعلت قتلکم أبي وطعنکم إيتاي وانتهاکم متاعي ...
ويحكم أيّها الخارجي! إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم،
وما اغترّبهم إلّا من ذلّ، ليس أحد منهم يوافق رأي الآخر،
ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة وشدائد مرّة، وهي أسرع البلاد

خراباً، وأهلها هم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً» (١) ...
فهم قوم لا يوثق بهم، ولا يعتمد عليهم، وليس لهم موقف يحسب
عليه، وقد فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً.

* * * * *

ولابدّ أن يكون لكلّ فرد أو جماعة دوافع تحرّكه نحو الإقدام على عمل
ما، واتّخاذ موقف مهما كان بسيطاً، فكيف بموقف له علاقة مباشرة
بالدنيا والآخرة.

والبيعة - بأيّ معنى كانت - أمر غير عاديّ ولا بسيط، والناس أفراد
وجماعات يتعاملون معها قديماً وحديثاً كعقد مقدّس وموقف له تبعاته
وآثاره وامتداداته.

فإذا نظرنا في دوافع البيعة التي أعلنها الكوفيّون لسيد الشهداء
الحسين عليه السلام مباشرة أو على يدي سفيره الشهيد مسلم بن قيل عليه السلام.
نجد أنّها تختلف من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة..

وعلى أساس هذه الدوافع سوف ندرس المواقف، لنرى أنّ بعض
المبايعين نكثوا البيعة على علم وسبق إصرار، أو أنّهم نكثوها وفق المنهج
المقرّر عندهم، أي أنّهم انطلقوا إلى البيعة بتأثير دافع أو دوافع معيّنة

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٨١.

تحققت لهم عند أعداء الحسين عليه السلام فأنحرفوا لها ومالوا معها ...

وسوف نذكر الدوافع ونرتبها تحت أرقام لا نقصد بذلك الترتيب حسب الأهميّة، ولا نريد أن نستقصيـ، ولأن نطيل في ذكر الأدلّة والشواهد، وإنّا نجمل إجمالاً، ونقدّم نموذجاً يساعد على بيان المقصود:

الدافع الأول: الانتهازيّون وطلاب العيش الرغيد

الانتهازيّون وطلاب العيش الرغيد هم أكثرية بين الرؤوس وكبار الشخصيّات وغيرهم من الديدان التي كانت تنتشر في المجتمع الكوفيّ يومئذٍ، وتنمو وتتكاثر تحت سرير السلطان غالباً، وهم إنّما كاتبوا الحسين عليه السلام طمعاً في الدنيا وحبّاً للدعة، وانتهازاً للفرص، وركوباً للموجة التي كانوا يستشرفون منها جنيّ قطاف العيش الرغيد الذي استروحوه يوم ماجت الكوفة بذكر الحسين عليه السلام، واللجوء إليه فراراً من الحكم الأمويّ الذي اهتزّت أركانه بهلاك القرد العجوز معاوية.

ويمكن استكشاف ذلك من نصّ الكتاب الذي أمضاه جماعة الانتهازيين من أمثال شيبث بن ربعيّ وحجّار بن أبجر وعزرة بن قيس وأمثالهم.

روي أنّه كتب شيبث بن ربعيّ، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيديّ، ومحمّد ابن عمير التميمي:

«أما بعد، فقد اخضرَّ الجنب، وأينعت الثمار، وطمّت الحمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجّد، والسلام عليك».

فكلام هؤلاء الأوغاد يتركّز على جنّات خضراء، وثمار يانعة، وآبار طامية، وزروع باسقة، تنتظر القطاف، وجني الثمار، وهم في رفاهة من العيش ودعة من الحياة، فإن شاء الإمام الحسين عليه السلام فليقدم لأنّ الناس ينتظرونه.. الناس ينتظرونه، أمّا هم أنفسهم فإنهم ينتظرون القطاف، فإذا جاء كانوا هم معه، وقد قدّموا لذلك مع من قدّم، وسجّلوا موقفاً مع من سجّل، وإن لم يأت الحسين عليه السلام فليأت غيره، ولا خطر عليهم في ظلّ الغير لأنهم منه.

ثمّ إنهم قالوا: إذا شئت أقدم على جند لك مجّد، فكأنهم يريدون إخباره عليه السلام بما يجري من بيعة الناس له، ولا يريدون أن يعلنوا له عن استعداد ألبنة، فلا يريدونه أن يقدم عليهم إماماً وأميراً يحاربون تحت لوائه، فهم يقولون: أقدم على جند لك، ولا يقولون: أقدم علينا فإننا جند لك!

وهكذا هم أصحاب هذا الفريق.. متقلّبون، متزلفون، متزلقون، انتهازيّون، يميلون مع كلّ ريح ترحل بهم إلى مآربهم وأطماعهم، فإذا كانت الدنيا مع الأذعياء ركعوا لهم، وتزلفوا إليهم، وتخذقوا في خنادقهم، وتسكّعوا على أبوابهم وعكفوا على لحس ذيولهم.

الدافع الثاني: طلاب الحق

ثمة فريق آخر - وهم الأقلية القليلة - كتب يخاطب الإمام الحسين عليه السلام معتقداً بإمامته وقيادته، ومتذمراً من الحكم الأموي المنحرف، وهارباً من ظلم المتمردين على الله وعلى رسوله ﷺ، وملتجئاً إلى العدل المطلق، ومعلنأ عن استعدادهم للموت بين يدي الحق، ونلاحظ ذلك في نموذج آخر من الكتب التي وصلت إلى الحسين عليه السلام من شيعته:

روى الطبري وغيره عن محمد بن بشر الهمداني قال:

«اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك

معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد:

إن معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته،

وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعة وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون

أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن

والفشل، فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه.

قال: فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن

صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن

مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:
سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد:
فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على
هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى
منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة
بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ،
والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا
نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه
حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك».

مقارنة بين الفريقين

قارن بين الكتابين تعرف الفريقين:

«فريق يمدّ عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا، والجنان المخضرة، والثمار
اليانعة، والمياه الجارية.

وفريق يتضوّر من الكفر والظلم والجور، ويتوقّ إلى الإيمان والعدل
والشهادة والحدود...

الفريق الأول لا يعاني من مضايقات، ولا مطاردات في ظلّ الحكم

القائم، ويرى ازدهار مسيرة العمران الديني، وكل ما يراه هو نعيم وحدائق ذات بهجة، ونخيل باسقات حان اقتطافها، وأكل دائم يخشون انقطاعه.

والفريق الآخر يشكو العدو الجبار العنيد الذي تسلط على الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبايرتها وأغنيائها...

فريق لا يذكر السلطان الحاكم بسوء. وفريق يذكره بمساوئ أفعاله وتجبره وطغيانه، ويدعو عليه بالانتقام واللعنة فيقول: فبعداً له كما بعدت ثمود.

فريق لا يشعر بفراغ الإمامة لأنه لا يميز بين إمامة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، وملك القروء من أولاد البغايا والأدعياء والطلقاء.

وفريق لا يقر للأوغاد بالطاعة، ويستغيث ويتوسل بالمعصوم قائلاً: «إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق».

فريق يتكلم بضمير الغائب، وفريق ينطق بضمير المتكلم..

فريق يتحدث عن استعداد الغير، وفريق يعد النصره بالنفس..

فريق يعد عن جند لا يعد نفسه منهم، وفريق يعد المبادرة..

فريق يكتب بالكناية والتلويح، ويستعمل العبارات التي لا تدخل السرور على قلب الإمام الحسين عليه السلام ولا تحزن أعداءه، تماماً كما يعبر القرآن الكريم: ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾.

ولو وقع الكتاب بيد أعداء الحسين عليه السلام فإن فيه متسعاً، ومجال اعتذار، ومداًحاً مبطناً يكشف بعد شرح ما بين السطور من كلماتهم، وهم لا يذكرون هلاك الطاغية، ولم يبدوا فرحاً بضعف الدولة الحاكمة في الشام، ولم يتعرضوا للوالي الممثل له في الكوفة.

وفريق يصرّح بالبراءة من أعداء الله وأعداء الحسين عليه السلام ويحمد الله على هلاك الطاغية، ويعلن استعداداه لمواجهة الوالي الممثل له في الكوفة.

«والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله».

ولا يخاف هؤلاء في الله لومة لائم، ويعرضوا الدنيا خراباً تنتظر يد الرأفة الحسينية لتمسح عليها، وتنفخ فيها روح الحياة والعمران.

هذا كله بغض النظر عن الأفراد الذين كتبوا الكتاب الثاني، فإنّ فيهم من تخاذل ونكص، بيد أنّ الكتاب يحكي نفساً يختلف عن نفس الكتاب الأول، وقد أتينا على تفصيل ذلك في بحث وقائع دخول المولى

الغريب عليه السلام إلى الكوفة.

الدافع الثالث: الأكثرية التائهة

هذا الفريق كان يمثّل الشريحة الأكبر في المجتمع الكوفي يومذاك، لأنّ الشيعة كانت أقلّية، وغالبية المجتمع الذين شكّلوا سواد الجيش الأمويّ الذي حارب سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، كانوا ممّن تربّى على موائد السلطان، وترعرع في أفياء السقيفة، وحلت دنياهم الهزيلة في أعينهم، واتّبعوا العجل والسامريّ، وأشربوا حبّهم في قلوبهم، وذاقوا وبال ما قدّمته أيديهم، فهم في زيغهم وضلالهم يتردّدون، وقد أحسّوا بضعف أركان مساكن الظالمين التي سكنوها، وشعروا بفرار القائد والإمام، وماجت الكوفة يومها بأهلها، وارتفعت الصرخات، وعلا الضجيج، وشقّ أجواء المدينة التائهة الحائرة يهتف بالإمام، فهتفوا مع من هتف، وهم لا يفرّقون بين أن يكون إمامهم الحسين عليه السلام سليل الأنبياء وسيّد شباب أهل الجنة، أو يزيد بن معاوية البغيّ ابن البغيّ، ولكنّهم يطلبون الإمام ويريدون الراية التي تجمعهم وتوحّد كلمتهم، على هدى الله ضمن المقاسات المرسومة في قلوبهم.

فهم يريدون الإمام ويهتفون بذلك لا اعتقاداً بإمامة سيّد الشهداء عليه السلام المنصوصة من قبل الله التي نزل بها الروح الأمين من عند ربّ العالمين على لسان سيّد الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وآله.

ولهذا شرح لهم ريحانة النبي ﷺ معنى الإمام باختصار في جواب رسائلهم، ليكونوا على علم من دعوتهم له، فالإمام كما يرسمه الحسين عليه السلام:

«فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله» (١).

وهذه الصفات هي الحد الأدنى المطلوب في أي رجل يتصدى للإمامة العامة بالمعنى العام (٢).

وهذه الشريحة التائمة، كما يتضح من دينهم وعقيدتهم وتربيتهم ومواقفهم ليسوا مع الإمام الحسين عليه السلام، ولكنهم اضطروا له بانتظار الإمام الذي يعتقدون به، ويرضونه! ليجمع شملهم أيًا كان، ومن أفضل من الإمام الحسين عليه السلام!؟

الدافع الرابع: طلاب العافية والدعة

طلاب العافية والدعة، هم الذين كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه،

(١) انظر للمزيد: كتاب «مسلم بن عوسجة أول شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلف.

(٢) انظر للمزيد عن شرح الكتاب والتفاصيل المتعلقة به بحث «وقائع دخول الكوفة».

حسب تقييم بعض الشخصيات من قبيل الفرزدق وغيره، فهم يريدون أن يخادعوا الله وهو خادعهم، وهم يخدعون أنفسهم وهم يشعرون، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، فيقنعوا أنفسهم أنهم قاموا بواجبهم مع ريحانة النبي صلى الله عليه وآله فبايعوه، ووعدوه النصر، ما دام في قدومه عليهم ظفر وعافية، أما إذا لزم من قدومه التعرض للخطر، فهو خروج عن بغيتهم ومخالفة لسنّتهم، فترى الدين لعق - لغو - على ألسنتهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديّانون (١) ...

وهؤلاء لا يعدّون في الشيعة، والشيعة والتشيّع منهم براء، ولم نسمع في التاريخ ولا في حديث أهل البيت عليهم السلام - حسب فحصنا وعلمنا - عذراً لهؤلاء ولا تصويماً لفعالهم، ولا حشراً لهم في شيعتهم.

وهؤلاء بايعوا طلباً للراحة والدعة، فلمّا لم يجدوها بالمعنى الذي تهواه نفوسهم في صفّ الأنبياء والأوصياء وحامل رايتهم سيّد الشهداء عليه السلام انحازوا إلى حيث بغيتهم كما يزعمون!

الدافع الخامس: البعد القبلي

كانت القبيلة والعشيرة والعلاقات النسبية وامتداد الدم من المؤثرات، بل من الأسباب القويّة جدّاً في البناء العقلي والاجتماعي

(١) انظر: تحف العقول لابن شعبة: ٢٤٥.

والتخندق والتموضع يومذاك.

وربما كانت القبيلة تفعل فعلها في تحديد مواقف الأفراد، بل حتى في دينها وعقائدها، وتزجهم في الحروب، أو معاهدات الصلح، وتجعلهم في صفوف من المولاة والبراءة للأفراد والجماعات والقبائل، فيرضخون لكبرائهم تعصباً جاهلياً ممقوتاً لا يحكمه دين ولا يهذب به خلق، ورعاية للمصالح والاستقواء ومواجهة المجهول وتأمين العيش، وغيرها من الأغراض..

وكم رأينا وسمعنا في التاريخ جماعات تسارع إلى الجحيم انجراراً وراء رأس ممسوخ من رؤوس القبيلة، وربما كان أقرب مثال يشهد لنا ما مر معنا من موقف مذحج حينما رضخت ذليلة خاسئة لعمر بن الحجاج الزبيدي، وانصرفت بكلمة واحدة قالها الخائن:

«قال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حياً فاجعلكم الفتنة؟ انصرفوا. فانصرفوا» (١).

الدافع السادس: العداوة مع الأمويين

العداوة مع الأمويين عموماً ويزيد الخمر والفجور خصوصاً وبغض أهل البيت (عليه السلام) مثل الخوارج، فإنهم يعادون الأمويين ويبغضون أهل

البيت عليه السلام وينصبون لهم العدا، وليس لهم رأس ولا مدد ينهض بهم في ميادين الحرب والقتال، ولكنهم همج عتاة، وفئاكين طغاة، أسفك الناس دماءاً، وأجراًهم على الموت في الباطل.

يبحثون عن أي راية ينضوون تحتها لقتال العلويين أو الأمويين، فإذا قامت راية للعلويين لقتال الأمويين قاموا معها، وإذا نعق ناعق الأمويين لحرب العلويين تبعوا الناعق، حال مروان في حرب الجمل إذ كان يرمي سهامه إلى جهة العسكرين معاً ويقول: إنه ظفر من أي العسكرين قتل..

المهم عندهم أن ينتقموا ممن يضمرون له العداوة حقاً كانت أو باطلاً.

فلما قام داعي الله يدعوهم للدفاع عن نفسه وقاتل أعداء الله اغتتموها فرصة، فأعلنوا البيعة لعلهم يبلغون البغية في قتال عدوهم، ولا يهتمهم أمر الإمام الحسين عليه السلام من قريب ولا من بعيد.

حتى إذا دارت الأيام ورأوا الأحداث العسكرية والسياسية الظاهرية تسري لصالح الأمويين، وقد لاحت بوادر ذلك منذ دخول الدعي ابن الدعي ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة، فاغتنموا فرصة لا بديل لها، بل لا يحملون بها أبداً أن تعينهم الظروف على أبناء واطرهم ومبيداهم وباتر رؤوس كبرائهم العفنة قاتل المارقين أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ﷺ، فقتال الأمويين ممكن وظلمهم كافٍ لرفع الرايات ضدّهم في كلّ حين، أمّا آل الله وأهل بيت رسول الله ﷺ فليس كذلك.

وهذا النمط من الجرذان الوحشيّة يمكنها أن تتنقّل من معسكر إلى معسكر بلحظات، بل إنّها لا ترتاح ولا تستطيع أن تعيش في الجنان وتراها تسرع كلحظ البصر إلى المستنقعات والقدر...

قال الإمام الحسن ﷺ محبباً عبد الله بن الزبير يوم اعترض على صلح الإمام ﷺ مع القرد المترهّل معاوية في كلام طويل:

«... نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا المشرق الثاقب والكرم الغالب، ثمّ تزعم إنّي سلّمت الأمر لمعاوية فكيف يكون؟ ويحك كذلك! وأنا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيّدة النساء وخيرة الأمّهات لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقاً، ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلب بتره ويداجيني المودّة، فلم أثق بنصرته، لأنّكم بيت غدر وأهل إحن ووتر» (١) ...

الدافع السابع: حبّ الدنيا

قال الإمام سيّد الشهداء الحسين ﷺ:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق (لغو) على ألسنتهم فإذا

(١) المحاسن والأضداد للجاحظ: ١٣٦، حياة الإمام الحسن ﷺ: ٢ / ٢٧٧.

مَحْصُوا بِالْبَلَاءِ قُلُوبَ الدِّيَانُونَ»^(١)..

وهؤلاء الناس عبيد الدنيا، والعبد لا حول له ولا طول ولا إرادة مقابل إرادة سيّده، إمّا الدين فهو عندهم شيء يلحقونه بالسنتهم، يتذوّقونه ما دام فيه طعم ولذّة تغير ذائقته وتغذي شهواتهم، وتثير نزعاتهم وغرائزهم الهابطة، فإذا جدّ الجدّ، وأزفت الآفة، قلّ الديّانون.. والعبد يتبع مولاه، ويكون حيثما كان، فحسب هؤلاء العبيد ذوي الأثمان الرخيصة والأسعار الزهيدة أنّ سيّدهم - الدنيا - مع سيّد الشهداء عليه السلام حيث أعلن قيامه، وأنّ رياح التغيير ستقتلع أغصان الشجرة الملعونة في نفس ذلك اليوم، وإن بقيت الجذور، فقالوا مع سيّدهم، فلمّا رأوا الدنيا المنتنة التي يذوبون فيها ويستسيغونها عند ابن الأمة الفاجرة رحلوا إلى حيث أقام سيّدهم.

الحصيلة

تبين أنّ جملة الدواعي والدوافع التي بايع بناءً عليها هؤلاء القوم كانت عائمة تنتقل حيث يدفعها الموج من جهة إلى جهة، ومن جهة إلى جهة.

وأنتهم كانوا ينتمون إلى قاعدة ويطفون على سطح يتحرّكون بتحركه،

(١) تحف العقول لابن شعبة: ٢٤٥.

ويتنقلون بتنقل تلك القاعدة، فالانتهازي يطلب العيش الرغيد ولا يبال أين كان ومع من كان.

والأكثريّة التائهة قد نبت أصلها في السقيفة، فإذا مالت الريح بعيداً عنها سرعان ما تعود إلى الأصل، وهي تثوب مع الجمع الكبير، وتسير بالعقل الجمعيّ الحقيق، وتنحدر إلى القاع، وهي لا تقر لغصن الرسالة وشجرة النبوة ومعدن الطهارة إلا إذا فقدت من يحميها من أسياها، فإذا قام ناعقها تبعته تبعية الفرع للأصل.

وطلاب العافية والدعة، يسافرون حيث تتحقق بغيتهم، وتتوفر لهم وسائل الدعة والراحة التي تمكّنهم من الاسترخاء والتبدّل، ويتقبلون على الوسائد الوثيرة لينعموا بالنوم الهاني، فإذا قامت الحرب كان الوقوف على التلّ أسلم لها، توزّع العواطف وتشر القلوب من داخل الصدور على هذا الفريق أو ذاك، وليس للحقّ عند هؤلاء القوم منزل ولا مقام ولا قيمة إلا إذا وفر لها الدعة والراحة التي جعلوها هدفاً يتوقّون إليه، وأمنية يحلمون بها، وهدفاً يسعون إلى تحقيقه.

أما المسيرون بأمر زعيم القوم ورأس القبيلة، فلا يمكن أن يحزّر لهم موقف، ويبنى على اجتماعهم وكلمتهم، تقيمهم كلمة وتقعدهم كلمة، وتدفعهم صرخة وتمنعهم زجرة، وتجدهم يتجمهرون تحت أقدام الزعيم، وقد رأينا الزعيم داخلاً في الفئات الأخرى سوى طلاب الحق، فهو إما

انتهازيّ، أو طالب دعة، أو عبد للدنيا وما شاكل، فلمّا وجد ما يحبّ تحت أقدام ابن الأمة الفاجرة سارع إلى هناك يخبّ ويحبو بمن تحت قدميه.

والخوارج وأمّثالهم لا دين لهم ولا اعتقاد، ولا يحكمهم ذوق ولا آداب، يبتغون الفتنة، أين وجدوها ألّفحوها، وقد التحقوا بالمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام طمعاً في قتال أبناء البغايا، فلمّا رأوا ابن الأمة الفاجرة قد رفع راياته وجدوها فرصة لا يجود بها الدهر إلا قليلاً، فالتحقوا به متوثّبين على ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله وأبناء فاطمة البتول عليها السلام، وقد دلّعوألسنتهم ليلغوا في الدماء الزاكية، أمّا الأمويّون فإنهم سيجدون من يجمعهم على محاربتهم في كلّ حين.

وعبيد الدنيا قد اتّخذوها إلهاً يحبّونها، لا يفكرون في فراقها أبداً، وقد تكشّفت الأمور عن الشهادة وفراق الدنيا الدنيّة مع سيّد الشهداء عليه السلام، وشمّوا رائحة بقيّة من عيش وبيل مع أبناء الدنيا، فانساقوا إلى صفّ إلههم ومعبودهم.

وهذه الأصناف المنقلبة كلّها كان انقلابها طبيعياً متوقّعا، بل منتظراً في أيّ لحظة، لأنّ تحرّكها كان بداعيّ ودافع وسبب مبنيّ على قواعد لهم مرسومة، لا يخفونها ولا يتنصّلون عنها، ولم يكن انقلابهم اعتباطاً، وقراراً آنياً يخالف المقرّرات وموقفاً تغير نتيجة تغير العقائد والفهوم والمبادئ

والمنطلقات.

فهم أصحاب سوابق ومتبنيات ثابتة من قبل، ولم يؤمنوا بالإمام الحسين عليه السلام طرفة عين أبداً - كإمام مفترض الطاعة من الله - لا قبل البيعة ولا بعد الخذلان.

وهذا ما تؤكده كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكلمات الإمام الحسين عليه السلام نفسه.

وهذه الحقيقة لم تكن بعيدة عن العالم العارف الخبير بالمجتمع الكوفي ثقة الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام.

أما طلاب الحق، وذووا المنابت الطيبة، والأصول الطاهرة، والنطف الزكية، فإنهم كانوا مع الحق يتبعونه ويثبتون عليه ومعه، أقدامهم ثابتة، ومواقفهم راسخة، تزول الجبال وهم لا تزلزلهم القواصف، ولا تستفل منهم المعاول، ولا يزيدهم فراق الدنيا إلا شوقاً للقاء المحبوب، يرون الحق في إمامهم، لا فرق عندهم بين أن يكونوا في الدنيا أو غيرها.

فنعيمهم الحسين عليه السلام..

ودنياهم الحسين عليه السلام..

ودينهم الحسين عليه السلام..

وأهلهم وعشيرتهم الحسين عليه السلام..

وأخرتهم الحسين عليه السلام..

وجتّهم ونعيمهم، وروحهم وريحانهم الحسين عليه السلام.
وقد رأوا في الذات المسلميّة المقدّسة سيّما الحسين عليه السلام، فثبتوا ...

العامل الثالث: الشيعة أقلّيّة في المجتمع الكوفيّ

مرّ الكلام مفصّلاً في بيان هذه الحقيقة، فلا نعيد، والذي نريد الإشارة إليه هنا هو أنّ الشيعة الأطائب الذين نرى في مواقفهم الشموخ، وفي أقدامهم الصدق والثبات، أقلّيّة في ذلك الكمّ الهائل الهائج يومذاك، فإنّهم ثبتوا، ولكنّه كان ثبات الأقلّ، أمّا الأكثر فلا ينتظر منهم الثبات إلّا على المصالح والدنيا المعبودة.

العامل الرابع: الانطلاق المبكّر لحمالات التخذيّل والتهديد

كان لانطلاق حملات التخذيّل المبكّر منذ عهد السقيفة وقبلها وبعدها، وقوّة موادّ التخذيّل ووسائله التي وظّفها ابن الأُمّة الفاجرة دور فاعل في تثبيت العزائم الخائرة، وتفتيت المواقف المتزلّزة، وهزيمة النفوس الخاوية التائّمة.

العامل الخامس: وجود جيش بعدّة وعدد عند الأعداء

مرّ معنا أنّ ابن زياد كان في عدّة وعدد، وكان له جيش منظمّ وشرطة وحرس، وأعداد غفيرة من الأوباش والغوغاء والرعاع، وهذه الصورة تختلف تماماً عمّا أراد المؤرّخ رسمها في ظاهر عبارته، بيد أنّها

ظهرت بين سطور كتابته وتساقطت من فلاتات قلمه، وقد فصلنا الكلام في ذلك فيما مضى من هذه الدراسة.

ومن الطبيعي أن يكون تخويف صاحب هذه العساكر مؤثراً، ويكون الناس - ونعني بهم الهمج الرعاع لا رجال العقيدة والثبات - يخافون هذه العساكر الشرسة الوحشية.

العامل السادس: هبوط الظلام ودخول الليل

كانت الحروب يومها تعتمد على الرؤية المباشرة، وتقوم على المصاولة والاستهداف المباشر والمواجهة والتلاحم، ولهذا كانت الحروب لا تقوم ساقها إلا في ضوء النهار، فإذا جنَّ الليل انسحبت الصفوف، وتأجل القتال إلى صباح اليوم التالي.

ولم يكن القتال في الليل معهوداً إلا نادراً، بل أندر من النادر، ولو قد قاتل القوم ليلاً صار ذاك القتال تاريخاً وحديثاً تجول به الركبان، كما حدث في ليلة الهرير.

وقد اتفقت المصادر على أن التجمّع قد امتدَّ إلى الليل.

وأفاد نصّ ابن الأثير أن الأعداء كانوا يناورون ويمجّرون الحدث إلى الليل ليتفرّق الناس، قال:

«وكان فيمن قاتل مسلماً محمّداً بن الأشعث وشبث بن ربعي

التميمي والقعقاع بن شور، وجعل شبت يقول: انتظروا بهم
الليل يتفرقوا..

فلما هبط الليل، واكتسح الظلام الساحات حان الوقت لتفرق
الجموع.

ولا يخفى أن الجموع كانت تتحرك في ثكنتها، بمعنى أن كل فرد منهم
إذا أراد أن يقضي ليلته تلك وينتظر الصباح ليعود - على فرض وجود
حرب - عليه أن يرجع إلى مكان يكتنه، ويطوي فيه ليله، ولما كان
التحرك في الكوفة نفسها، عاد كل رجل منهم إلى بيته وأهله وعشيرته،
أو إلى ثكنته وما ينتمي إليه من القطعات بعد أن استحضر الجروابن
الزياد الجميع في المسجد، كما سمعنا قبل قليل.

المهم كان هبوط الظلام عاملاً طبيعياً ساعد على تفرق الجمع.
ولا يغيب عنا أن هذا العامل الطبيعي لا يكون عذراً للغدر، والتخلي
عن البيعة والأخلاق والاستسلام للخذلان.

غير أنه كان سبباً لانسحاب الجموع من الساحة باعتبارها جموع
محاربة! أما مطلق التجمع فإنه كان بالإمكان حصوله، بل قد حصل،
كما في النصوص حيث أمر الجرو المسعود ابن زياد أن يجتمع الناس بعد
العتمة فاجتمعوا!

العامل السابع: وجود العساكر داخل المدينة

كان لوجود الأسر والعوائل والأولاد والأزواج والآباء والأمهات والأملأك والدور وزهرة الحياة الدنيا دور فاعل في التخذيل، وتثبيط العزائم، وجَر الأفراد بعيداً عن الساحة والرحبة!

وقد سمعنا المؤرِّخ يصرِّح بدور العوائل والأسر في التخذيل والتثبيط والانسحاب بعيداً عن ساحة الازدحام والتحرُّك، وكانت الكوفة ثكنة تضمّ العسكر بعوائلهم ومتطلّبات حياتهم، ووجود الدنيا وزهرتها أمام عين المتخاذل كافية في انهياره..

* * * * *

ربما لم نوفِّق لجمع كلِّ عوامل الخذلان ودوافعه ومسبّباته، بيد أن في ما مرَّ غاذج نحسب أنّها كافية في تفسير الموقف المتزلزل الذي حرَّك أمواج الزبد المتراكم الطافح يومذاك من جهة إلى جهة، وأنّ ما حصل لا يعدّ مفاجأة غير محسوبة، أو أنّ فعل ابن الأئمة الفاجرة ومعالجته للموقف وتهديده وحده كان هو السبب الذي يوعز إليه كلّ ما حدث من دون تدخّل أيّ عامل آخر، وأنّ الناس كانوا يتحرّكون ضمن ضوابط حكموها في حياتهم وعقائدهم وتصوّراتهم وتوجّهاتهم.

وأنّ هذه العوامل التي ذكرناها بالاستفادة من النصوص التاريخية هي ما ظهر لنا من تتبّع المتون، ولا سواء بين بحثنا وبين ما يراه الإمام

المعصوم وسفيره الثقة المسدد مسلم بن عقيل عليه السلام، فإذا كان هذا القدر قد انكشف لنا من خلال قراءة النص التاريخي ومعالجته، فكيف لا يكون واضحاً لمن هو عين الله ومظهر علم الله وعيبة علم الله وخزائنه ومعدنه، وكيف يخفى على من بعثه الإمام المعصوم عليه السلام على علم منه؟

ولا يخفى أننا لم نأت بشيء جديد من عند أنفسنا وإنما قرأنا المتون التاريخية نفسها واستنطقناها، وتبين لنا فيما نحسبه واضحاً جلياً أنّ قصة المفاجآت التي تصوّرها ظواهر النصوص المتناثرة لا يمكن أن يرتكن إليها ويعتمد عليها، وأنّ كلّ شيء كان بعلم المولى الفقيه العالم الخبير مسلم بن عقيل، يعرفه ويعرف مآله القوم ومنتهى آمالهم وطريقة تعاملهم ومقدار ما يمكن أن يحسب على مزاعمهم، ويعلم تمام العلم بدوافعهم ونزعاتهم وسلوكياتهم وتاريخهم وحاضرهم من خلال خبرته ومعرفته بهم وبأصولهم ومسيرتهم سابقاً ولاحقاً..

موادّ البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحوث احتوت على نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتى مختلفة. وثمّة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة، بحكم الحاجة إليها. وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبتّه، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فإنّه سيجده هنا إن شاء الله.

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠): خ ١ / ٤٦١:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة،
فما بلغ القصر إلا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً
من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد.
وجاء الليل فهرب!!! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها:
طوعة. فاستجار بها ...

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٨:

قال: فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة يبايعهم له،
وكان على الكوفة النعمان بن بشير.

فقال النعمان: لأبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إلينا من ابن مجدل!
قال: فبلغ ذلك يزيد، فأراد أن يعزله، فقال لأهل الشام: أشيروا علي،
من أستعمل على الكوفة؟

فقالوا: أترضى برأي معاوية؟ قال: نعم.

قالوا: فإنّ الصكّ بإمرة عبيد الله بن زياد على العراقيين قد كتبه في
الديوان.

قال: فاستعمله على الكوفة، فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين،
وباع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا

معه يريدون عبيد الله بن زياد، فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عنه منهم ناس، حتّى بقي مسلم في شزيمة قليلة..

قال: فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك دخل دارهاني بن عروة المراديّ ...

الإمامة والسياسة: ٢ / ٩:

.. فضرب بها وجهه حتّى كسرها، ثمّ قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر.

أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١:

... قال: فاتّني به لتتلافى الذي فرط من سوء رأيك، فأبى فقال: والله لئن لم تأتني به لأضربنّ عنقك.

قال: والله لئن ضربت عنقي لتكثرنّ البارقة حول دارك.

فأمر به فأدني منه فضرب وجهه بقضيب أو محجن كان معه، فكسر أنفه وشقّ حاجبه، ثمّ أمر به فحبس في بعض بيوت الدار.

وأتى مسلماً خبرهاني فأمر أن ينادي في أصحابه، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله.

فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل.

فعبأهم ثم زحف نحو القصر.

وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجه محمد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي، وعدة من الوجوه ليخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي، ويتوعدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام، ويمنع الأعطية، وأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب.

فتفرق أصحاب ابن عقيل عنه، حتى أمسى وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً.

فلما رأى ذلك خرج متوجّها نحو أبواب الكندة، وتفرق عنه الباقيون حتى بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة ليس معه أحد!!!.

أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤:

حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا عباد بن العوام، عن حصين: أنّ أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين: إنّنا معك ومعنا مائة ألف سيف. فبعث (الحسين) إليهم مسلم بن عقيل، فنزل بالكوفة (في) دارهائي ابن عروة، فبعث إليه ابن زياد فأتي به، فضربه بقضيب كان معه، ثم أمر به فكتف وضربت عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس

كثير.

قال حصين: فحدّثني هلال بن إساف قال: (ثمّ إنّهم) لقد تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأصوات، فقليل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد. فأمر فرفعت جرادي فيها النار حتّى نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربّعهم، فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه.

ولجأ! (مسلم) إلى دار من دور كندة، فجاء رجل إلى محمّد بن الأشعث، وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك. فقال (ابن الأشعث) لابن زياد: إنّّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان. فقال: اتّوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير. فقال: عفواً!!!

قالوا: ما نملك ذلك، فانطلق معهم! فلمّا رآه أمر به فكتف وقال: أجنّت - يا ابن حلية - لتنزع سلطاني؟ وأمر به فضربت عنقه.

قال: و«حلية» أم مسلم بن عقيل، وهي أم ولد (١).

أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥:

قالوا: وخرج عمارة بن صلحب الأزدِي (كذا)، وكان ممّن أراد نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به، فأمر به فضربت عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانئ (بن عروة) إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان ...

الأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢): ٢٤٠ _ ٢٣٨:

ولما بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا، فعقد لعبد الرحمن بن كرز الكندي على كندة وربيعه، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وعقد لأبي ثامة الصيداوي على تميم وهمدان، وعقد للعبّاس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار، فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتّبعهم هو في بقية الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة شراء والدته»، للمؤلف.

رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا^(١).

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف! أهل الكوفة: ليسرف كل رجل منكم في ناحية من السور، فخوفوا القوم.

فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمربن ذي الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم.

فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم فتروا بعض الفتور. وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمه فيقول: انصرف، فإن الناس يكفونك. وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع.

فصلى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً. فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلما مضى قليلاً التفت فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فحضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كندة.

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٩.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممن خفّ مع مسلم، فأوته وأدخلته بيتها، وجاء ابنها، فقال: من هذا في الدار؟ فأعلمته، وأمرته بالكتمان.

ثم إن ابن زياد لما فقد الأصوات ظن أن القوم دخلوا المسجد، فقال: انظروا، هل ترون في المسجد أحداً؟ وكان المسجد مع القصر. فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون أطناب القصب، ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضيء لهم، فتبينوا، فلم يروا أحداً. فقال ابن زياد: إن القوم قد خذلوا، وأسلموا مسلماً. وانصرفوا.

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقناديل، وأمر منادياً فنادى بالكوفة: ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال: يا حصين بن نمير - وكان على الشرطة - ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك الكوفة، فإذا أصبحت فاستقرء الدور، داراً، داراً، حتى تقع عليه.

وصلى ابن زياد العشاء في المسجد، ثم دخل القصر. فلما أصبح جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعه معه على سريره.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده. فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسر إليه الخبر.

فقال ابن زياد: ما سار به ابنك؟

قال: أخبرني أنّ مسلم بن عقيل في بعض دورنا.

فقال: انطلق، فأتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع.

فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمى، فكسرفوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد.

تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣:

قال بعد أن نقل قصة التخطيط لاغتيال ابن زياد ^(١) في بيت هاني ابن عروة:

.. ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشك في وفاء القوم، وصحة نياتهم،

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصة محاولة اغتيال ابن زياد»، للمؤلف.

فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجربرجله في السوق وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعائته إياه..

تاريخ الطبري (ت ٣١٠): ٥ / ٣٥٠ وما بعدها سنة ٦٠:

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدهني، عن أبي جعفر عليه السلام قال:
 فينا هو كذلك، إذ خرج الخبر إلى مذحج، فإذا على باب القصر
 جلبة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج.
 فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم إنّي إنّما حبسته لأسأله، وبعث
 عيناً عليه من مواليه يسمع ما يقول.
 فمرّ بهاني بن عروة، فقال له هاني: اتق الله يا شريح، فإنّه قاتلي،
 فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنّما حبسه
 الأمير ليسأله.

فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا...
 فأتى مسلماً الخبر، فنأدى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل
 الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعباً ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد
 الله.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر.
 فلما سار إليه مسلم فأنتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائهم،

فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة..

فقال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن زهير، عن عبد الرحمن بن شريح، قال: سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة، قال:

دخلت على هاني، فلمّا رآني قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين! وأين أهل المصر! تفاقدوا! يخلّوني، وعدّوهم وابن عدوّهم! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرّجّة على باب القصر، وخرجت واتّبعتني، فقال: يا شريح، إنّّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

قال: فخرجت إليهم ومعهم حميد بن بكير الأحمريّ، أرسله معي ابن زياد، وكان من شرطه ممّن يقوم على رأسه، وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به.

فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم، وأن أعلمكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله كان باطلاً! فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله، ثمّ انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدّثني الحجاج بن علي، عن محمّد بن بشر الهمداني، قال:

لما ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشرف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثمّ ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النّظارة المسجد من قبل التّمارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه.

قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرهائي، قال: فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي، وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه!

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة

آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت. وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو ابن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعه، وقال: سرأمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر. فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب. قال أبو مخنف: وحديثي يونس بن أبي إسحاق، عن عباس الجدي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء، فضاقت بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على

عبيد الله وعلى أبيه، ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبحر العجلي وشمربن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له: «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن

شريح الشبامي، فلمّا رأى محمّد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهليّ إلى محمّد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمّد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير، وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف! الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواءاً، فأخرجه.

وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثمّ قال: أشرفوا على الناس فمّنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن خازم الكثيريّ من الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين! يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً: لأن أتمتم على حربيه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبق له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلّم الأشراف! بنحو من كلام هذا، فلمّا سمع مقاتلهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيى الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلذّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب!

ولما طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً؟!

فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!!

ففرعوا بجابح المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون.

فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر.

فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلّا في المسجد.

فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس، أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر، فإنّي لا آمن أن

يغتالك بعض أعدائك!

فقال: مرحسي فليقوموا ورأيي كما كانوا يقفون، ودر فيهم فإنّي لست بداخل إذاً.

فصلّى بالناس، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ ابن عقيل السفیه الجاهل!! قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله!!! من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتّه، اتّقوا الله عباد الله، والزمو طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً.

يا حصين بن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصده على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلاها حتّى تأتيني بهذا الرجل، وكان الحصين على شرطه، وهو من بني تميم.

ثمّ نزل ابن زياد فدخل، وقد عقد لعمر بن حريث راية وأمره على الناس، فلمّا أصبح جلس مجلسه، وأذن للناس فدخلوا عليه.

وحدّثنا محمّد بن عمّار الرازيّ، قال: حدّثنا سعيد بن سليمان، قال: حدّثنا عباد بن العوام قال: حدّثنا حصين:

إنّ الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: أنّه معك مائة ألف،

فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هاني بن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك.

زاد الحسين بن نصري حديثه: فأرسل إلى هاني فأتاه، فقال: ألم أوقرك! ألم أكرمك! ألم أفعل بك! قال: بلى.

قال: فما جزاء ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني!

قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكتف، ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير.

فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملأ من الناس!!!

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق عينا ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلما بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة! ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثيراً أحد، ولا نسمع أصوات كثيراً أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بجرادى فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة

ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا.

فخرج مسلم فدخل داراً من دور كنده، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسأره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إن مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك.

فانطلق معهما!! حتى أتاه فأمر به فكتف ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية - قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا - جئت لتتزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه..

الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤): ٥ / ٤٨ وما بعدها:

.. قال: فغضب ابن زياد وقال: والله! لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال: إذا والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال له ابن زياد: أبل البارقة تخوّفي؟ ثم أخذ قضيباً كان بين يديه فضرب به وجهه هائئ، فكسره وجهه وأنفه وشقّ حاجبه.

قال: فضرب هائئ بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن

زياد، فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف، وصاح عبيد الله بن زياد: خذوه! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب.

قال: ثم وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيها الأمير! أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلما جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه وزعمت أنك تقتله.

قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت هاهنا أيضاً؟ ثم أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتى وقع لجنبه.

قال: فحبس أسماء ناحية من القصر وهو يقول: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، إلى نفسي أنعاك يا هاني.

قال: وبلغ ذلك بني مذحج، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتى وافوا باب القصر فضجّوا وارتفعت أصواتهم، فقال عبيد الله بن زياد: ما هذا؟ ف قيل له: أيها الأمير هؤلاء عشيرة هاني بن عروة يظنون أنه قد قتل.

فقال ابن زياد للقاضي شريح: قم فادخل إليه وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنه لم يقتل.

قال: فدخل شريح إلى هاني فنظر إليه، ثم خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة، فإنّ صاحبكم لم يقتل، والذي أبلغكم فإنّه أبلغكم باطلاً!

قال: فرجع القوم وانصرفوا.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسللة، فقال:

أما بعد يا أهل الكوفة! فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد صلّى الله عليه وآله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهرُوا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

قال: فما أتمّ عبد الله بن زياد الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقبل له: أيّها الأمير! الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه!

قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب.

ذكر مسلم بن عقيل عليه السلام وخروجه على عبيد الله بن زياد!!!

قال: وأقبل مسلم بن عقيل عليه السلام في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكو السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس. قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن

زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي! الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإن جنود أهل الشام قد أقبلت، وأن الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنكم العطاء وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتى لا يبق منكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال أمرها.

قال: فلما سمع الناس ذلك تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل عليه السلام، ويقول بعضهم لبعض: ما نضع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم.

قال: ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقل ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب وتفرق عنه العشرة.

فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أثنى بالجراحات حتى صار إلى دار امرأة يقال لها: طوعة، فلما كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثم خرج من القصر

وأتى إلى المسجد الأعظم، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:
أيها الناس! إنَّ مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد، وأظهر العناد، وشقَّ
العصا، وقد برئت الذمّة من رجل أصبناه في داره، ومن جاء به فله
ديّته، اتّقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتمكم، ولا تجعلوا على
أنفسكم سبيلاً، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم
والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية، وله في كلّ يوم حاجة مقضيّة،
والسلام.

ثمّ نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال: ثكلتك أمك
إن فاتتك سكة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم
ابن عقيل! فوالله لئن خرج من الكوفة سالماً لثريقنّ أنفسنا في طلبه،
فانطلق الآن فقد سلّطتك على دور الكوفة وسككها، فانصب المراسد
وجدّ الطلب حتّى تأتيني بهذا الرجل ...

مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦): ٣ / ٥٨:

.. ولما اتّصل خبر ابن زياد بمسلم تحوّل إلى هانئ بن عروة المرادي،
ووضع ابن زياد الرّصد على مسلم حتّى علم بموضعه، فوجّه محمّد بن
الأشعث بن قيس إلى هانئ، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ
له ابن زياد القول، فقال هانئ: إنَّ لزياد أبيك عندي بلاءاً حسناً، وأنا
أحبُّ مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟

قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك.

فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسرأنفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هائي بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هائي بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم ابن زياد شريحاً القاضي، فشهد عندهم أنه حي لم يقتل، فانصرفوا.

ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهائي، أمر منادياً فنادى: «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل!!

فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه، فحصره في القصر، فلم ينس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظروا إلى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب! ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق! فنزل عن فرسه ومشى - متلذداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس،

فاستسقاها ماءً أفسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته ...

مقاتل الطالبين لأبي الفرج (ت ٣٥٦): ١٠٣ وما بعدها:

وقال عمر بن سعد: عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بن علي الهمداني قال:

لما ضرب عبيد الله هائناً وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشرف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: اعتصموا بطاعة الله وطاعة أمّتكم، ولا تفرقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلّوا، وتخافوا وتخرجوا، فإن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

وقال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن حازم البكري قال:

أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثره نائي لأنظر ما صار إليه

أمره، فدخلت فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابي، وقد ملأ الدور منهم حوالية، فقال: ناد: «يا منصور أمت».

فخرجت فناديت، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، وقال له: سرّ أمامي وقدمه في الخيل.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: انزل فأنزل على الرّجالة.

وعقد لأبي ثمامة الصائديّ على تميم وهمدان.

وعقد للعبّاس بن جعدة الجدليّ على أهل المدينة، ثمّ أقبل نحو القصر.

فلما بلغ عبید الله إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب، وأقبل مسلم حتّى أحاط بالقصر، فوالله ما لبثنا إلّا قليلا حتّى امتلأ المسجد من الناس، والسوق، ما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبید الله أمره.

ودعا بعبید الله بن كثير بن شهاب الحارثي، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيخذل الناس عن ابن عقيل، ويخوفهم الحرب، وعقوبة السلطان، فأقبل أهل الكوفة يفترون على ابن زياد وأبيه.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن حازم البكريّ، قال:

أشرف علينا الأشراف، وكان أول من تكلم كثير بن شهاب. فقال:
أيها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرّضوا أنفسكم
للقتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير
عهداً لن أتمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه أن يحرم
ذرّيتكم العطاء، ويفرّق مقاتليكم في مغازي الشام على غير طمع،
ويأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى فيكم بقيّة من
أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت.

وتكلّم الأشراف! بنحو من كلام كثير، فلمّا سمع الناس مقاتلهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد:

أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك،
ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع
بالحرب والشر؟ انصرف.

فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه إلّا
ثلاثون نفساً، حتّى صليت المغرب، فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما
بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه منهم
إنسان فمضى متلّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج
إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها:
«طوعة»..

فلما طال على ابن زياد، ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا، فأخذوا ينظرون، وأدلو القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال وتدلي وتلهب فيها النار، حتى فعل ذلك بالأظلة التي في المسجد كلها، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة، وخرج ونادى في الناس:

برئت الذمة من رجل صلى العتمة إلا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد: فإن ابن عقيل السفیه الجاهل!! قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله!! من رجل وجد في داره، ومن جاء به فله ديتة، اتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين بن تميم ثكلتك أمك إن ضاع شيء من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور حتى تأتي بهذا الرجل، ثم نزل.

فلما أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه..

الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣): ٢ / ٦٧ وما بعدها:

وكان خروج مسلم بن عقيل - رحمة الله عليهما - بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، وكان توجه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة - وهو يوم التروية - بعد مقامه بمكة بقيّة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وثمان ليال خلون من ذي الحجة سنة ستين، وكان قد اجتمع إليه مدة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولما أراد الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق، طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة، لأنه لم يتمكن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ إلى يزيد بن معاوية، فخرج عليه السلام مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه لخروجه يوم خروجه على ما ذكرناه..

الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ - ٥١:

.. وخرج عبيد الله بن زياد فصعد المنبر، ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فقال:

أما بعد: أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحربوا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر

من أنذر.

ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل باب التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه.

قال عبد الله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هائي، فلما حبس وضرب ركبت فرسي، فكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرته! يا ثكله!

فدخلت على مسلم بن عقيل فأخبرته فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة آلاف رجل، فناديت: يا منصور أمت.

فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه، ف عقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وقيم وهمدان، وتداعى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوئبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر، وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف! الناس وأهل بيته وخاصته، وأقبل من نأى عنه من أشرف الناس يأتونه من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من في

القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أبيه ...
... وحبس باقي وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس.

تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١): ٢ / ٤٨ وما بعدها:

وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره: «يا منصور أمت»، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل.

فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على الأرباع، وقدم أمامه صاحب ربيع كندة، وأقبل نحو القصر، فتحرز عبيد الله، وغلق الأبواب، وسار مسلم حتى أحاط بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حتى امتلأ المسجد والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتى المساء.

فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكبرهم أنه يتمسك بباب القصر، وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشرف الناس، وأهل بيته، وجعل من في القصر يشرفون فيشتتمهم الناس، ويفترون على ابن زياد وأبيه، ويتّقون أن يرموهم بالحجارة.

ففتح عبيد الله الباب الذي يلي دار الروميين ليدخل إليه من يأتيه،

ودعا كثير بن شهاب، فأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج، فيخذل الناس عن مسلم بن عقيل، ويخوفهم عقوبة السلطان، وغائلة أمرهم، وأمر محمد بن الأشعث بمثل ذلك في من أطاعه من كندة، أن يرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال لمثل هؤلاء من أهل الشرف! مثل ذلك.

فخرجوا، وجاءوا بعدة، فحبسوا، ورجع إليه الرؤساء من ناحية دار الروميين، فدخلوا القصر، فقال لهم عبيد الله: «أشرفوا على القصر فئتوا أهل الطاعة، وخوفوا أهل المعصية».

فتكلم القوم، وقالوا: أيها الناس! الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تتعرضوا للقتل، فإن أمير المؤمنين، قد بعث جنوده من الشام، وقد أعطى الله الأمير عهداً لن تتمم على حربكم، ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية، إلا أذاقها وبال أمرها.

فأخذ الناس - كما سمعوا هذا وأشباهه من رؤسائهم - يتفرقون، فكانت المرأة تأتي إلى ابنها، وأخيها، فتقول: انصرف، فإن الناس يكفونك، ويحيي الرجل إلى ابنه، وأخيه، فيقول: غداً يأتيك جنود الشام، فما تصنع بالحرب؟ فينصرف به.

فما زال الناس يتفرّقون، حتّى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلّا ثلاثون رجلاً حين صليت المغرب، فصلّى بهم مسلم. فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك، خرج متوجّهاً نحو كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا على منزل! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فبقي متلذّداً في أزقة الكوفة، لا يدري أين يذهب.

فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة»، وأخذ ابن زياد لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً، فقال لأصحابه: أشرفوا، فانظروا ما بالهم؟ فأشرفوا، فلم يروا أحداً.

قال: فانظروا، فلعلّهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، فجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، وينظرون: هل في الظلال أحد؟

فكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء، كما يريدون، فدلّوا أنصاف الطنان تشدّ بالحبال، ثمّ تجعل فيها النيران، ثمّ تدلّى إلى الأرض، ففعلوا ذلك من أقصى الظلال وأدناها، فلم يروا شيئاً، فعلموا أنّ القوم انصرفوا نادمين.

فأعلموا ابن زياد، فأمر بفتح باب السدّة التي في المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه، فجلسوا حوله قبل العتمة، ونادى: برئت

الذمة من رجل من الشرطة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلى العتمة إلا في المسجد!

فلم تكن إلا ساعة حتى امتلأ المسجد.

فقال الحصين بن تميم: إن شئت، صلى غيرك، ودخلت القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك، فقال: مرحسي أن يقوموا ورائي، وزد فيهم، فإني لست بداخل بعد أن أثرت الخروج.

فصلى بالناس، ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل، السفیه الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتة.

ثم توعد الناس، وحضهم على الطاعة، وخوفهم الفرقة والفتنة، نادى حصين بن تميم، فأجابه، وكان على شرطه، فقال: ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل، ولم تأتني به، فابعث مراصد على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبرئ الدور، وجس خلاها حتى تأتيني بهذا الرجل، ثم نزل ابن زياد، ودخل القصر.

البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧): ٨ / ٦

فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتى نزل على هاني بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من

الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد عليه اللعنة وهو بالبصرة، فهم إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقتلوه حتى دخل قصره وأغلق بابه.

فلما كان عند المساء وتفرق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هاني، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر، وقتل أدنى من العصابة ثم ضربوا عنقه..

المناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) تحقيق السيّد عليّ أشرف:

٣١٧ / ١٠

.. وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم.

ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه، فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممن بايعوه، فتحرز عبيد الله وغلق الأبواب، وسار مسلم حتى أحاط بالقصر، فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميّين براءة الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها، فدخلوا القصر فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس، فنوا أهل الطاعة، وخوفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرقون حتى أمسى مسلم وما معه إلا ثلاثون نفساً.

فلما صلى المغرب ما رأى أحداً، فبقى في أزقة كندة متحيراً! ففشى.

حتى أتى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة»..

المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧): ٥ / ٣٢٦:

.. قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، ففضى بهم إلى القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهابهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتكم جنود الشام، فتسلّوا، فما اختلط الظلام حتى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة..

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠): ٤ / ٣٠ وما بعدها:

.. وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هائناً قد قتل فأقبل في مذبح حتى أحاطوا بالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذبح ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة.

فقال عبيد الله لشريح القاضي، وكان حاضراً: ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثم اخرج إليهم فأعلمهم أنّه حيّ.

ف فعل شريح، فلما دخل عليه قال له هائى: يا للمسلمين! أهلك عشيرتي؟ أين أهل الدين؟ أين أهل النصر؟ أئحلّونني وعدّوهم وابن عدّوهم!

وسمع الضجة، فقال: يا شريح إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

فخرج شريح ومعه عين أرسله ابن زياد، قال شريح: لولا مكان العين لأبلغتهم قول هائي.

فلما خرج شريح إليهم قال: قد نظرت إلى صاحبكم وإنّه حيّ لم يقتل.

فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله! ثمّ انصرفوا. وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنأدى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير، فعقد مسلم لعبد الله بن عزيز الكندي على ربع كندة وقال: سرّأمامي، وعقد لمسلم بن عوسجة الأسديّ على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائديّ على ربع تميم وهمدان، وعقد لعبّاس بن جعدة الجدليّ على ربع المدينة، وأقبل نحو القصر.

فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر وامتلاً المسجد والسوق من الناس، وما زالوا يجتمعون حتّى المساء، وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشّروط وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف! الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين والناس

يسبّون ابن زياد وأباه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمربن ذي الجوشن الضبابي، وترك وجوه الناس عنده استثناساً بهم لقلّة من معه.

وخرج أولئك نفر يخذلون الناس، وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنّوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية، ففعلوا.

فلما سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرّقون حتّى إنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فلما رأى ذلك خرج متوجّها نحو أبواب كندة، فلما خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها: «طوعة» ...

وأما ابن زياد فلما لم يسمع الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل ترون منهم أحداً؟ فنظروا فلم يروا أحداً، فنزل إلى المسجد قبيل العتمة

وأجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي: ألا برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد.

فامتلاً المسجد، فصلّى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال: أما بعد فإن ابن عقيل السفية الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديتته.

وأمرهم بالطاعة ولزومها، وأمر الحصين بن تميم أن يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور، وكان على الشرط، وهو من بني تميم.

ودخل ابن زياد وعقد لعمر بن حريث وجعله على الناس، فلما أصبح جلس للناس.

وقيل: وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين، وقيل: لتسع مضين منه.

قيل: وكان فيمن خرج معه المختار بن أبي عبيدة وعبد الله بن الحارث بن نوفل، فطلبهما ابن زياد وحبسهما، وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعي التميمي والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنك قد سدّدت عليهم وجه مهرهم فافرج لهم يتفرّقوا...

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤): ٢١٨ وما بعدها:

قال علماء السير: ولما قدم مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له: «عوسجة» ودب إليه أهل الكوفة فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، وقيل: ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحسين يخبره بذلك، فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية، فدخل على النعمان بن بشير، وكان والياً على الكوفة، فقال له: إنك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد، وأخبره بقصة مسلم!

فقال له النعمان: والله لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله! فكتب إلى يزيد بقوله، وكان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد، وإنما احتاج إليه.

فكتب إليه: إنني قد وليتك الكوفة مع البصرة، وإن الحسين قد سار إلى الكوفة فاحترز منه، وإن مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله.

فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً، فما مر على مجلس من مجالسهم فيسلم إلا قالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين عليه السلام، فلم يزل كذلك حتى نزل قصر الإمارة ...

... فقال: آتيني به، فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه،

فضربه ابن زياد بقضيب فشجّه، ومال هاني إلى سيف شرطي ليأخذ سيفه فدفع عنه، فقال ابن زياد: قد أحلّ الله دمك!

واجتمعت مذبح على باب القصر وصاحوا، فقال ابن زياد للقاضي شريح: اخرج إليهم وقل لهم: إنّما حبسه ليسأله، فقال له هاني: يا شريح اتق الله، فإنّه قاتلي، فخرج إليهم شريح فقال لهم ذلك، فتفرّقوا.

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر، فخرج من دار هاني ونادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فعبّأهم وسار إلى القصر.

وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة، فقال لهم: قوموا ففرّقوا عشايركم عن مسلم، وإلاّ ضربت أعناقكم.

فصعدوا على القصر وجعلوا يكلمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً فسقته، وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل.

وكانت المرأة أمّ مولى لمحمّد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث، فأخبر ابن زياد، فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان على شرطته، ومعه محمّد بن الأشعث، فأحاطوا بالدار فخرج إليهم مسلم يقاتل فأمنه ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد، فأمر به،

فأصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه وألقي رأسه إلى الناس، وصلبت
جثته بالكناسة، ثم فعل بهاني بن عروة كذلك فقال الشاعر:
فإن كنت لا تدرين بالموت فانظري

إلى هائي بالسوق وابن عقيل
أصاهما ريب المنون فأصبحا

أحاديث من يسعى بكل سبيل

وقال آخر في ممالاة ابن الأشعث على مسلم بن عقيل:
وتركت عمك لم تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعا
وقتل وأفد حزب آل محمد وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد، وكان قتل
مسلم لثمان مضين من ذي الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم
وقيل: يوم رحيله، ولم يعلم الحسين بما جرى في الكوفة.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد، وهو
أول رأس حمل من رؤوس بني هاشم وجثة مسلم أول جثة صلبت
منهم.

كان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من
رجب سنة ستين، ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان،

فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوّال وذى القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذى الحجة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة.

الهلوف للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤): ٤٧:

.. قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذبح كافة حتى أحاط بالقصر، ونادى:

أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذبح ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغنا أنّ صاحبنا هانياً قد قتل.

فعلم عبيد الله باجتماعهم وكلامهم، فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم، فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد، فتحصّن منه بقصردار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه، ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام، فلم يزلوا كذلك حتى جاء الليل فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وينبغي أن نقعد في

منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس فدخل مسلم المسجد ليصلي المغرب.

تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ت ٦٨٥): ١١٠:

فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة ليأخذ بيعة أهلها، فجاء واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبائعون الحسين. وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة فتمّ إلى الكوفة. فسار إليه الشيعة وقتلوه حتى دخل القصر وأغلق بابه.

فلما كان عند المساء وتفرق الناس عن مسلم بعث ابن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا عليه ورفعوه بين شرف القصر، ثمّ ضربوا عنقه..

البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤): ٦ / ٢٣١:

.. وكان سبب قتل الحسين أنّه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبياعوه بالخلافة، وكثرت واطر الكتب عليه من العامة، ومن ابن عمّه مسلم بن عقيل.

فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية، فبعث إلى مسلم بن عقيل يضرب عنقه، ورماه من القصر إلى العامة، فتفرّق ملوهم وتبدّدت كلماتهم..

البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣ وما بعدها:

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه.

وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي، فسار ابن زياد من البصرة إلى ...

فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد ولاني أمركم وثرركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدة على مريبكم وعاصيكم، وإني أنا ممثلكم فيكم أمره ومنفذ عهده، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية! وأهل الريب والخلاف والشقاق، وإني عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرفته من الديوان ...

فجاء الأمراء إلى هاني بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد..

ثم نقل دخول هاني على ابن زياد ما دار بينهما من حوار إلى أن قال:

ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قومه من بني مذحج مع

عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل، فسمع عبيد الله لهم جلبة، فقال لشريح القاضي وهو عنده: اخرج إليهم فقل لهم: إن الأمير لم يحبسهم إلا ليسأله عن مسلم بن عقيل، فقال لهم: إن صاحبكم حي، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم، فتفرقوا إلى منازلهم.

وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره: «يا منصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمرهائى ويحذرهم من الاختلاف، وأشرف الناس وأمرأهم تحت منبره، فبينما هو كذلك، إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب.

فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهددوهم وتوعّدوهم، وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنك غداً بجنود

الشام قد أقبلت فما ذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثمّ تقالّوا حتّى بقي في ثلاثمائة ثمّ تقالّوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثمّ انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها: «طوعة» ...

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة، وذلك يوم عرفة سنة ستين، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكّة قاصداً أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين، ودخل مكّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكّة بقيّة شعبان ورمضان وشوّال والقعدة، وخرج من مكّة لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية ...

فاتفق خروجه من مكّة أيّام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد فإنّ

مسلماً قتل يوم عرفة.

إمتاع الأسماع للمقرئزي (ت ٨٤٥): ٥ / ٣٦٣:

ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرقوا عنه حتى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل.

الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢) ٢ / ٧٠:

فتلكاً فاستدناه، فأدنوه منه، فضربه بالقضيب وأمر بحبسه. فبلغ الخبر قومه، فاجتمعوا على باب القصر، فسمع عبيد الله الجلبة، فقال لشريح القاضي: اخرج إليهم فأعلمهم أنني ما حبسته إلا لأستخبره عن خبر مسلم، ولا بأس عليه مني.

فبلغهم ذلك فتفرقوا، ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، فركب وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كل واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلا عدد قليل منهم.

فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلما بقي وحده تردّد في الطرق بالليل، فأتى باب امرأة ...

محتويات الكتاب

❦ معركة القصر

٧	المقدمة.....
١١	دواعي النداء بالشعار
١١	الداعي الأول: اعتقال هاني وغيره.....
١٤	الداعي الثاني: موقف مذحج
١٧	الداعي الثالث: الدفاع عن النفس..
	الشاهد الأول: المولى الغريب مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى للجرو
١٧	الأمويّ ابن زياد
١٩	الشاهد الثاني: الهجوم على المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

- رواية شاذة ٢٠.....
- الداعي الرابع: اقتحام القصر لاستنقاذ هاني ٢٢
- العائق الأول: استنتاج القطعي من الظني ٢٣
- العائق الثاني: عدم انحصار النتيجة بخيار ٢٤
- العائق الثالث: خضوع مذحج ٢٦
- العائق الرابع: قلة المدافعين عن القصر ٢٦
- العائق الخامس: معرفة المولى الغريب مسلم عليه السلام بالقصر ٢٧
- الداعي الخامس: محاصرة القصر حتى تحقيق النصر ٣٠.....
- المناقشة الأولى: الفرض مبني على تخطئة المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ٣١
- المناقشة الثانية: إنه محض افتراض ٣٢
- المناقشة الثالثة: توافر المؤن ٣٢..
- المناقشة الرابعة: لم تكن المحاصرة مطبقة .. ٣٣..
- المناقشة الخامسة: تجاهل قوات العدو ٣٣..
- الداعي السادس: اقتحام القصر لإسقاط الحكم ٣٤
- الداعي السابع: كشف النوايا وفضح المبايعين ٣٦
- الأمر الأول: كشف النوايا ٣٦.....

- ٣٧ الأمر الثاني: كشف العامل الغيبي ...
- ٤١ يوم الحصار
- ٤١ القول الأول: الثامن من ذي الحجة
- ٤٣ القول الثاني: التاسع من ذي الحجة
- ٤٣ القول الثالث: الثاني من ذي الحجة
- ٤٤ القول الرابع: السابع من ذي الحجة
- ٤٦ النتيجة
- ٤٩ جيش العسكرين
- ٤٩ قصّة العرض التاريخي
- ٥٣ ظليمة المولى الغريب عليه السلام
- ٥٤ التنويه الأول: خبرة المولى العظيم مسلم بن عقيل عليه السلام
- ٥٤ التنويه الثاني: حضور المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام
- ٥٥ التنويه الثالث: معرفة المولى الغريب عليه السلام بالمجتمع الكوفي
- ٥٧ عسكرا بن زياد
- ٥٨ الشريحة الأولى: قوّات السلطة
- ٥٨ القوّة الأولى: العسكر
- ٦٢ القوّة الثانية: الشرطة

- ٦٣ القوة الثالثة: الحرس
- ٦٤ النتيجة
- ٦٥ الشريحة الثانية: لم يكتبوا ولم يبايعوا
- ٦٧ الشريحة الثالثة: كتبوا ولم يبايعوا
- ٦٨ الكتلة الأولى: المعروفون بالأسماء
- ٦٩ الكتلة الثانية: المعروفون إجمالاً
- ٧٠ لفظة
- ٧١ الشريحة الرابعة: اتخذت الموقف المعادي قبل النداء
- ٧٣ الشريحة الخامسة: بايعوا ولم يلبّوا النداء
- ٧٣ الشريحة السادسة: لبّوا النداء ولم يثبتوا
- ٧٤ النتيجة
- ٧٤ النتيجة الأولى: إنّ الأكثرية الكاثرة جند الشيطان
- ٧٥ النتيجة الثانية: لم يكن الجرو المسعور وحده
- ٧٨ النتيجة الثالثة: علم المولى الغريب عليه السلام بالشرائح
- ٧٨ تذكير مهم
- ٧٨ الردّ الأول: كم من فئة قليلة!
- ٧٩ الردّ الثاني: قيام الأئمة بأقل من هذا العدد

- الردّ الثالث: ملاحظة الجانب الغيبي ٧٩
- قطعات عسكريين زياد ٨١
- القطيع الأول: عسكري مذجج بقيادة عمرو بن الحجاج ٨٢
- القطيع الثاني: عسكري كثير بن شهاب ٨٤
- القطيع الثالث: عسكري القعقاع الهذلي ٨٥
- القطيع الرابع: عسكري حجار بن أبحر العجلي ٨٧
- القطيع الخامس: عسكري محمد بن الأشعث ٨٧
- القطيع السادس: عسكري الحرس والشرطة ٨٨
- القطيع السابع: عسكري شمر بن ذي الجوشن ٩٠
- القطيع الثامن: عسكري الوجوه والأشراف! ٩٠
- القطيع التاسع: عسكري شيبث بن ربعي .. ٩١
- القطيع العاشر: عسكري عمرو بن حريث ٩٢
- عدد عسكري المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ٩٥
- الأعداد باختصار ١٠١
- الاجتماع التدريجي ١٠٢
- السبب الأول: وجود الشواهد في عبارات المؤرخين ١٠٢
- السبب الثاني: المؤرخ يخبر عن وقت معين ١٠٣

- أشهر الأعداد: ثمانية عشر ألفاً. ١٠٣
- الملاحظة الأولى: التخمين.. ١٠٣
- الملاحظة الثانية: اجتماع العدد..... ١٠٤
- الملاحظة الثالثة: انتشار جند الجرو المسعور ابن زياد ١٠٥
- الملاحظة الرابعة: تفرّقهم ١٠٦
- الملاحظة الخامسة: عدم ثبات المبايعين ١٠٧
- الملاحظة السادسة: اشتها ر غيره من الأعداد ١٠٨
- الملاحظة السابعة: المناقشة في ما يربو على هذا العدد..... ١٠٩
- الملاحظة الثامنة: يبق العدد أقلّية ١٠٩
- النتيجة ١٠٩
- المجاميع التي لبّت النداء ١١١
- المجموعة الأولى: الذين لبّوا النداء ولم يثبتوا ١١١
- المجموعة الثانية: الذين لبّوا النداء وثبتوا ١١١
- رايات المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ١١٣
- القسم الأول: المصادر التي لم تذكر التقسيم ١١٤
- القسم الثاني: المصادر التي ذكرت التقسيم وفق التشكيلة الاجتماعية
(التقسيم المدني)..... ١١٦

- ١١٧ القسم الثالث: ذكر التقسيم العسكري
- ١١٧ الشكل الأول: ميمنة وميسرة ومقدمة وقلب
- ١١٨ الشكل الثاني: المزج بين التشكيلتين
- ١١٩ تقسيم غريب
- ١١٩ النتيجة..
- ١٢١ تعبئة العسكر ..
- ١٢١ النوع الأول: تعبئة الدينوري
- ١٢٢ النوع الثاني: تعبئة الطبري ...
- ١٢٥ ميدان القتال
- ١٢٥ القسم الأول: خروج دون مواجهة
- ١٢٥ القسم الثاني: تراشق واحتكاك.
- ١٢٦ القسم الثالث: وقوع القتال ...
- ١٢٦ الموضع الأول: الرحبة
- ١٢٧ الموضع الثاني: أطراف القصر
- ١٢٧ الموضع الثالث: المسجد الأعظم
- ١٢٨ الموضع الرابع: مكان تواجد المولى الغريب مسلم عليه السلام
- ١٢٩ جغرافية الأحداث ...

- ١٣٠ معنى الغلوة ورمية السهم
- ١٣١ عودة إلى رواية الطبري
- ١٣٥ وقت التجمّع والقتال
- ١٣٧ تحذيل الناس عن المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام
- ١٣٧ لفظة مهمّة
- ١٤١ متى بدأ التحذيل ؟
- ١٤١ الفترة الأولى: طويلة الأمد
- ١٤٤ الفترة الثانية: الآنية
- ١٤٥ تحذيل يزيد - لعنه الله -
- ١٤٨ تحذيل الجرو المسعور ابن زياد - لعنه الله -
- ١٥٥ المخدّلون
- ١٥٧ وسائل التحذيل وموادّه
- ١٥٧ التهديد والوعيد
- ١٥٧ اتّحاد خطاب التحذيل
- ١٥٨ قلب المفاهيم وتبديل القيم
- ١٦٢ التنصّل عن المسؤوليّة
- ١٦٢ استعراض القوّة العسكرية

- ١٦٣ الضبط الاجتماعي عن طريق العرفاء
- ١٦٦ توظيف ما يسمون بالأشراف!
- ١٦٧ توظيف أفراد الأسر
- ١٦٩ التخويف والتهويل لأهل المعصية
- ١٧١ التخويف بالحرب
- ١٧٣ الجفاء والإذلال
- ١٧٤ التهديد بيزيد وجنوده ...
- ١٧٥ التهديد بجيش الشام
- ١٧٧ عقوبة السلطان .
- ١٨٠ نفي الحرمة وإسقاط حصانة الإسلام
- ١٨٢ التهديد بالقتل
- ١٨٣ قتل كبار القوم والأشراف
- ١٨٤ أخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب ...
- ١٨٥ ... الإيادة الجماعية والهلاك والقهر
- ١٨٧ ... منع العطاء والحرمان
- ١٨٩ ... تفريق المقاتلة في الثغور ومغازي الشام
- ١٨٩ ... محو العرافات وإغائها من العطاء

١٩٠.....	موقف مذحج
١٩٣.....	الوعد والترغيب
١٩٥	المتأثرون بالتخذيل
١٩٥	القسم الأول: العوام
١٩٦.....	القسم الثاني: الشيعة
١٩٦.....	الكوكبة الأولى: من كان في عسكر القوم
١٩٧.....	الكوكبة الثانية: من لم يكن منضوياً تحت رايات الضلال
١٩٧.....	الكوكبة الثالثة: الخواص
١٩٨.....	الكوكبة الرابعة: أعدوا ولم يلحقوا
٢٠٣.....	الكوكبة الخامسة: المتقاعسون المنتحلون للتشيع
٢٠٧.....	آثار التخذيل
٢٠٩	الأثر الأول: الفتور
٢٠٩	الأثر الثاني: التفريق
٢١٠.....	الأثر الثالث: الانصراف
٢١٣.....	المعركة!!
٢١٣.....	المشهد الأول: تفرق الجمع دون قتال
٢٢٤	المحصّل

- ٢٢٥ المشهد الثاني: وقوع القتال الشديد
- ٢٢٧ ملاحظة في الخبر
- ٢٢٩ عودة إلى النصوص
- ٢٣١ مناقشة الخبر
- ٢٣٣ النتيجة
- ٢٣٣ المشهد الثالث: مناوشات السور دفاعاً عن القصر
- ٢٣٦ النتيجة
- ٢٣٧ المشهد الرابع: قتال مسلم عليه السلام حتى الأسر
- ٢٣٨ المشهد الخامس: مشهد خاص
- ٢٤٩ مشهد المشاهد
- ٢٥١ نهاية الحصار
- ٢٥٣ موقف عبيد القروذ ابن زياد أثناء الحصار
- ٢٥٤ العرض الأول: موقفه قبل الحصار
- ٢٥٦ العرض الثاني: موقفه أثناء الحصار
- ٢٥٨ العرض الثالث: بعد انتهاء الحصار مباشرة
- ٢٦٠ العرض الرابع: بعد أن اجتمع الناس عنده
- ٢٦١ صورتان خاطفتان

٢٦٥.....	عوامل الخذلان ...
٢٦٧	العامل الأول: حقيقة البيعة ..
٢٧١.....	العامل الثاني: دوافع البيعة ..
٢٧٤.....	الدافع الأول: الانتهازيون وطلاب العيش الرغيد ..
٢٧٦	الدافع الثاني: طلاب الحق ..
٢٨٠.....	الدافع الثالث: الأكثرية التامة ..
٢٨١.....	الدافع الرابع: طلاب العافية والدعة ..
٢٨٢.....	الدافع الخامس: البعد القبلي ..
٢٨٣.....	الدافع السادس: العداوة مع الأمويين ..
٢٨٥	الدافع السابع: حب الدنيا ..
٢٨٦	الحصيلة ..
٢٩٠ ..	العامل الثالث: الشيعة أقلية في المجتمع الكوفي ..
٢٩٠	العامل الرابع: الانطلاق المبكر لحملات التخذيّل والتهديد ..
٢٩٠ ..	العامل الخامس: وجود جيش بعدة وعدد عند الأعداء ..
٢٩١	العامل السادس: هبوط الظلام ودخول الليل ..
٢٩٣	العامل السابع: وجود العساكر داخل المدينة ..
٢٩٥...	موادّ البحث ..

- ٢٩٦ الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠): خ ١ / ٤٦١
- ٢٩٦ الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٨
- ٢٩٧ الإمامة والسياسة: ٢ / ٩
- ٢٩٧ أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١
- ٢٩٨ أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤
- ٣٠٠ أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥
- ٣٠٠ الأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢): ٢٤٠ - ٢٣٨
- ٣٠٣ تاريخ يعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣
- ٣٠٤ تاريخ الطبري (ت ٣١٠): ٥ / ٣٥٠ وما بعدها سنة ٦٠
- ٣١٤ الفتوح لابن أعمش الكوفي (ت ٣١٤): ٥ / ٤٨ وما بعدها
- ٣١٨ مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦): ٣ / ٥٨
- ٣٢٠ مقاتل الطالبين لأبي الفرج (ت ٣٥٦): ١٠٣ وما بعدها
- ٣٢٤ الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣): ٢ / ٦٧ وما بعدها
- ٣٢٤ الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ - ٥١
- ٣٢٦ تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١): ٢ / ٤٨ وما بعدها
- ٣٢٩ البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧): ٦ / ٨
- المناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ /

٣٣٠.....	٣١٧
٣٣١.....	المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧): ٥ / ٣٢٦
٣٣١.....	الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠): ٤ / ٣٠ وما بعدها
٣٣٥.....	تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤): ٢١٨ وما بعدها
٣٣٨.....	اللهوف للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤): ٤٧
٣٣٩.....	تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ت ٦٨٥): ١١٠
٣٣٩.....	البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤): ٦ / ٢٣١
٣٤٠.....	البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣ وما بعدها
٣٤٣.....	إمتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥): ٥ / ٣٦٣
٣٤٣.....	الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢): ٢ / ٧٠

